الالتفات في القراءات القرآنية أثره على المعنى - دراسة تحليلية

إعداد

غزالة أبو حميد

المشرف

الأستاذ الدكتور أحمد نوفل

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في التفسير

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

أيار 2015

الإهداء

إلى سيدي وحبيبي وقرة عيني رسول الله -صلى الله عليه وسلم -، ثم إلى أصحاب الفضل عليّ؛ عرفاناً لهم، ووفاءً لأفضالهم، وإن كنت أتوق لتسميتهم تنصيصاً لفضلهم، وتخصيصاً لهم بالثناء.

ولكن ليقضيَ الله أمراً كان مفعولاً، وما لا يُدرك كلُّه لا يُترك جلُّه.

الشكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وقرة العين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه رضوان الله عليهم أجمعين وبعد:

فقد كان من هدي الحبيب -صلى الله عليه وسلم- أن يرجع الفضل لأصحابه، وأن يجازي بالمعروف معروفاً، وقد علمنا أنه من لا يشكر الناس لا يشكر الله، وأنّ من قال لذي المعروف: جزاك الله خيراً، فقد أجزل بالعطاء.

أبدأ بالشكر إلى من لهم الفضل عليّ موصولاً لا ينقطع، والدي الكريمين، أقول لكما: أطال الله في عمركما، وجعلني الله بكما بارةً رحيمة، وإلى أشقائي وشقيقاتي الأحباء: جمعنا الله وإياكم على الخير دائماً، وإلى مشرفي الدكتور الفاضل أحمد إسماعيل نوفل: وفّقك الله لكل خير ونفع بك، وإلى صديقاتي على مقاعد الدراسة وأخص منهم بالذكر: منال عبدالله، فهي من طبعت لي الرسالة، وصديقتي دعاء التي ساندتني معنوياً ووقفت بجانبي تمدني بالأفكار والتحليلات فأقول لهن: أظلنا الله وإياكن بصحبتنا في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

وأقول لكم جميعاً: جزاكم الله خيراً وأجزل لكم بالمثوبة والعطاء اللهم آمين.

فهرس الموضوعات

قائمة الجداول

الملخص

تهدف هذه الرسالة إلى دراسة جانب من جوانب الإعجاز الأسلوبي في القراءات القرآنية، وذلك بالوقوف على تحليلات المفسرين لأغراض الالتفات في القراءات التي تبين عن أثر الالتفات على المعنى.

وتستعرض هذه الدراسة جانباً من حديث البلاغيين عن الالتفات وما توصل إليه الجمهور في هذا الشأن، ونذكر بعد ذلك ورود هذه الظاهرة عند موجهي القراءات ومناهجهم في ذلك، ومن ثم نستعرض الأغراض البلاغية للالتفات في القراءات عند المفسرين وربط ذلك بالمرحلتين المكية والمدنية.

كما شملت هذه الدراسة في فصلها الثاني على ثبت بمواضع الالتفات القرائي في القرآن المكي والمدني وذكر القراءة التي حصل فيها الالتفات.

المقدمة

الحمد لله ربّ الأولين والآخِرين، منزل الكتاب رحمة وذكرى للمِؤمنين, معجزاً به أهل الذوق السليم، أهل الفطنة بالعربية والسليقة القوية فيها، فكيف بمن خلفهم من العالمين، والصلاة والسلام على من أَنزل القرآن على قلبه ليكون من المنذِرين بلسان عربي مبين، كتاب بديع نظمه ورفيع لفظه، حاز على شرف ما فيه من فنون الخطاب، وتلوين أساليبه بحسب سوقه ونظمه من باب إلى باب, صلاة وسلاماً عليه، وعلى آله وصحبه الأخيار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد شاءت حكمته سبحانه أن ينزل بعض القرآن على قراءات عدة أدى تعددها إلى تنوع الشواهد عند اللغوي على لغته، والفقيه على مذهبه، والكلامي على مذهبه أيضاً، فكان لصاحب البلاغة نصيب وحظ في تعدد القراءات، وذلك بوجد وفرة في تعدد الأساليب الناتجة عن ذلك, وهذا ما تنبه إليه الجزري (ت833هـ)، والسيوطي (ت911هـ)، على أنه وجه من وجوه الإعجاز البياني في القرآن.

فكان البحث سائراً في الاتجاه البلاغي من هذا الإعجاز، تحديداً في أسلوب الالتفات، دراسته على الجمل التي حصل فيها اختلاف القراء، وذلك بقراءة كلماتها بين أحرف المضارعة الثلاثة, ودراستها بتتبع السياقات والمقامات التي استدعت إنزال الجملة القرآنية مرةً بالتفات ومرةً دون التفات, ومعرفة السياق العام للآيات، وهل هي من المدني أم المكي من القرآن، وربط ذلك كله بأحوال كل مرحلة، ومعرفة هذا الأسلوب ومن ينفذ إليهم من المخاطبين، بصفتهم ملتفتٌ إليهم وملتفتٌ عنهم، فضلاً عن التعرف إلى نظام تربوي إلهي من خلال هذا الأسلوب، بالنظر إلى جهة المربي الذي يلتفت تارةً إلى كذا وتارة إلى آخر.

مشكلة البحث:

تظهر مشكلة الدراسة من خلال الأسئلة الآتية:

- ما القراءات التي حصل فيها التفات, وما صور الالتفات فيها؟
- ما أثر الالتفاتات المختلفة في القراءات القرآنية على المعنى؟

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة من خلال:

- أنها تعرّف بالقراءات التي حصل فيها التفات، وتظهر صور الالتفات فيها.
- أنها تقف بالباحث على أثر الالتفاتات المختلفة في القراءات القرآنية على المعنى.
- أنها تكشف عن سرٍّ من أسرار إعجاز هذا الكتاب العزيز، لاسيما عند تناول القراءات المتواترة.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الآتي:

- التعريف بالقراءات التي حصل فيها التفات وبيان صور الالتفات فيها.
- تجلية الأثر الدّلالي للالتفات في القراءات القرآنية.
- الكشف عن سرٍّ من أسرار إعجاز الكتاب الحكيم.

الدراسات السابقة:

عند تطرقي للموضوع والبحث عنه في ثنايا الكتب خلصت إلى النتيجة الآتية:

أن ما جاء فيها كان إمّا: **دراسات عامة** لم تقصد الالتفات بشكل خاص، كما جاء في كتب توجيه القراءات, مثل: الحجة في القراءات السبع لابن خالويه, وكتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكّيّ بن أبي طالب القيسيّ، وحجة القراءات لابن زنجلة, وحديثاً كبحث محمد أحمد الجمل تحت عنوان الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة، أو **دراسات خاصة**: في موضوع الالتفات والقراءات, تناولها بالبحث:

- الدكتور محمد سالم محيسن في مؤلفه: "القراءات وأثرها في علوم العربية"، إذ قام الباحث بعرض المواضع، ووصف كل موضع بالصورة الالتفاتية التي حصلت له, أما بالنسبة للتوجيه فلم يطلعنا الباحث على الوجهة البلاغية للالتفات، والتي استدعاها كل من السياق والمقام، وإنما اكتفى بالذكر أنّ القراءة التي حصل فيها الالتفات هي الأنسب لإيصال المراد إلى النفس.
- الدكتور محمد الزغول في بحثه "الالتفات في القراءات القرآنية" ولم يحاكِ هذا البحث دقة السياقات القرآنية، والمقامات وإسقاط الالتفات عليها، بل اكتفى بذكر الغرَض البلاغيّ, كما أنه تناول القراءات الشاذة ولم يستوعب جميع مواضع القراءات المتواترة.

- الباحثان أحمد عامر الدليمي، وميثم النوري, في **"**فن الالتفات في القراءات السبع سورة البقرة أنموذجاً**"** وهذه الدراسة محصورة بسورة البقرة.

أما ما يميّز دراستي عن سابقاتها:

- الاستقصاء لكل مواطن الاختلاف بين القراء العشر في موضوع الالتفات.
- التحليل الكامل لمواضع الالتفات في القراءات وربط ذلك بالسياق والمقام.
- ربط مواضع الالتفات في القراءات بحال نزول الآيات وهل هي من المكي أم المدني.

منهج البحث:

سيكون بحث الموضوع ضمن المناهج الآتية:

- المنهج الاستقرائي: حيث تقوم الدراسة على أساس استقصاء جميع الالتفاتات التي حصلت في القراءات بجميع صورها.
- المنهج التحليلي: حيث جاءت الدراسة لبيان الأثر على المعنى، إذ إنّ أثر الالتفات كبير لا يتأتّى إلا بتحليل السياقات والمقامات وصولاً إلى المعاني الخفية والأسرار البلاغية.

قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة, فاحتوت المقدمة على مشكلة الدراسة، والأهمية والأهداف، وذكر الدراسات السابقة، مع بيان المنهجية العلمية التي اتبعتها الدراسة.

أما **التمهيد فعنونته بمقدمات في مفهوم الالتفات والقراءات**, وضم مبحثين: **المبحث الأول: مفهوم الالتفات, وفيه أربعة مطالب:**

- المطلب الأول: الالتفات في اللغة والاصطلاح.
- المطلب الثاني: الالتفات في اصطلاح البلاغيين.
- المطلب الثالث: صور الالتفات.
- المطلب الرابع: فائدة الالتفات وأغراضه ومنزلته البلاغية.
-

المبحث الثاني: مفهوم القراءات القرآنية, وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: تعريف القراءات القرآنية.
- المطلب الثاني: أنواع القراءات القرآنية.

وأما الفصل الأول فعنونته بـ: الالتفات في القراءات القرآنية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الالتفات في القراءات القرآنية.

المبحث الثاني: ظاهرة الالتفات في القراءات عند العلماء.

أما الفصل الثاني: وعنونته ب: أغراض الالتفات من الغيبة إلى الخطاب والعكس، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أغراض الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

المبحث الثاني: أغراض الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

والفصل الثالث: بعنوان: أغراض الالتفات من الغيبة إلى التكلم والعكس، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أغراض الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

المبحث الثاني: أغراض الالتفات من التكلم إلى الغيبة.

التمهيد

المبحث الأول: مفهوم الالتفات

المطلب الأول:

الالتفات في اللغة

جاء في المعاجم العربية استعمالات كثيرة لجذر كلمة الالتفات (لفت), ودورانها كلها حول معنى واحد ودِلالة واحدة وهي الّلي والصرف, يقول صاحب معجم مقاييس اللغة ابن فارس

(ت395): "لفت: اللام والفاء والتاء كلمة واحدة تدل على الّلي وصرف الشيء عن جهته المستقيمة". [1]

وأكد هذا المعنى الراغب الأصفهاني (ت502) بقوله: "يقال لفَته عن كذا صرفه عنه, قال تعالى:﴿ **قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا** ﴾ يونس 78، أي تصرفنا". [2]

وبين ذلك الرازي (ت666) عندما ذكر ما معناه: بأنّ اللَّفت هو الّلي, ولفَتَهُ صَرَفَهُ وبابُهما ضَرَبَ.[3]

واهتم ابن منظور حينئذٍ بذكر استعمالات الكلمة وتطور دلالتها على معنى اللَّي والصرف يقول: "لفت وجهه عن القوم: صرفه. ولَفَتُّ فلاناً عن رأيه أيْ صرفته عنه ومنه الالتفات. ولفت الشيء, وفتله إذا لواه. يقال: فلان يلفت الكلام لفتاً أي يرسله ولا يبالي كيف جاء. واللفوت من النساء: التي تكثر التَّلفّتْ....". [4]

وكذا صاحب معجم تاج العروس (ت1205) إذ يقول: "ومن المجاز: لفته عن رأيه: صرفه, ومنه الالتفات والتّلفُت، والثاني أكثر من الأول" ثم يقول: (ومن المجاز: لَفَتَ اللِّحاء عن الشجر: قشره, ولفت الريش على السَّهم: وضعه حالة كونه غير متلائم بل كيف اتفق, ولفت الشيء لفتاً: عضده...". [5]

وجاء من استعمالات الجذر في اللُّغة أيضاً "لَفَتُّ ردائي على عنقي: عطفته".[6]

والتعدية بـ (إلى) تختلف عن التعدية ب (عن) في الالتفات. فالتعدية ب (إلى) تقول: التفت إليه بمعنى مال, والتعدية ب(عن) تقول التفت عنه بمعنى أعرض.[7]

وهذا ما جاء في جذر كلمة الالتفات (لفت) فماذا عن ورود **المصدر في اللُّغة:**

---

[1] ابن فارس, أبو الحسين أحمد (ت395), معجم مقاييس اللغة, تحقيق: سلام محمد هارون, دار الفكر, 1399هـ - 1979م, ج5, ص257.

[2] الراغب الأصفهاني, أبو القاسم الحسين بن محمد (ت502هـ), المفردات في غريب القرآن, مكتبة نزار مصطفى الباز, ج1, ص583.

[3] الرازي, محمد بن أبي بكر بن عبد القادر, مختار الصحاح, مكتبة لبنان, 1986, ص250.

[4] ابن منظور, أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم, لسان العرب, دار صادر بيروت, ج2 , ص84. وانظر الفيروز آبادي, مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ), القاموس المحيط, تحقيق مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة, مؤسسة الرسالة, ط2, 1426هـ – 2005م, ص159.

[5] الزبيدي, محمد مرتضى الحسيني, تاج العروس من جواهر القاموس, تحقيق: مصطفى الحجازي, مطبعة حِكومة الكويت, 1389ه – 1969م, ج5, ص78.

[6] الزمخشري, أبو القاسم جار اله محمود بن عمر (ت538), أساس البلاغة, تحقيق محمد باسل عيون السُّود, دار الكتب العلمية، لبنان , ط1, 1419هـ – 1998م , ج2, ص173.

[7] فهم ذلك من كلام الجوهري و الزمخشري. انظر الجوهري, اسماعيل بن حماد, تاج اللغة وصحاح العربية, تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار, دار العلم للملايين، لبنان, ط3, 1404هـ – 1984م, ج1, ص264. والزمخشري, أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت538هـ), أساس البلاغة, تحقيق: محمد باسل عيون السُّود, دار الكتب العلمية، لبنان, ط1, 1419 هـ – 1998م, ج2 ص173.

ورد الالتفات كمصدر بمعنى العدول بالوجه،[8] والإقبال يمنةً أو يسرةً تارةً كذا وتارةً كذا،[9] وهنا يُنبَّه إلى أنّ الدِلالة الخاصة للمصدر لا تتناقض مع الدِلالة العامة للجذر؛ فالدلالة الخاصة هي بعضٌ من الدِلالة العامة.

وبعد هذا الدرس يُستنتج أنّ المعنى الأوفق بالدراسة هو العدول, كما سيتضح فيما بعد عند درس الالتفات اصطلاحاً عند ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا** ﴾ يونس 78، بمعنى التحويل الكلّي الجذريّ القطعيّ عن معتقدهم إلى معتقد نبيهم. قال ابن عاشور: **"**لفت: إذا صرف وجهه عن النظر إلى شيء مقابِل لوجه. والفعل القاصر منه ليس إلا للمطاوعة. وهو هنا مستعمل مجازاً في التحويل عن العمل أو الاعتقاد إلى غيره، ولا يبقى معه نظر إلى ما كان ينظره**"**.

المطلب الثاني: **الالتفات في اصطلاح البلاغيين**

إنّ لهذا الفن من البلاغة خصوصيته بين فنون البلاغة الأخرى, إذ حاز كبير اهتمامٍ عند العلماء, في محاولة لإعطائه تلك الخصوصية. فكان بحثهم عنه دائراً حول المحاور الآتية:[10]

أولاً: عن تاريخ الالتفات وتطوره: وهذا بداية من الشعر والكتابات الأولية -أو ما يسمى ببذور وإشارات العلم- وتطورها.

ثانياً: تعريف المصطلح وربطه بالمعنى اللغوي.

ثالثاً: صوره ومجالاته.

رابعاً: فوائده وأغراضه.

خامساً: مكانته, وموقعه بين علوم البلاغة.

وسيكون حديثي عن الالتفات بما يخدم البحث بالوقوف على النقاط المفصلية التي أثَّرت في مسيرته إلى أن وصل إلينا ولا أشترط في ذلك التأريخ.

---

[8] قاله ابن فارس في معجم مقاييس اللغة, ص159، والراغب الأصفهاني في مفرداته, ص583.

[9] قاله ابن الأثير, أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم, المثل السائر في أدب الشاعر والكاتب, تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد, مكتبة مصطفى الباز، مصر, 1358هـ – 1939م, ج2, ص4.

[10] انظر مثلاً: هاشم محمد هاشم محمود, الالتفات في حاشية الشهاب. وأحمد مطلوب, معجم المصطلحات البلاغية. وأبو موسى, محمد محمد, خصائص التراكيب. وحسن طبل, أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية.

تعريف الالتفات اصطلاحا:

كان أول ظهور لهذا الفن من البلاغة مستقلاً في باب خاص, ومعنوناً باسم (الالتفات) عند ابن المعتز (ت296هـ) في كتابه البديع, فهو من أخرجه واصطلحه كفن من فنون البلاغة وعرَّفه بأنه: "انصراف المتكلم من المخاطبة إلى الإخبار، ومن الإخبار إلى المخاطبة، وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر". [11]

مع العلم بأن من جاءوا قبل ابن المعتز قد تنبهوا للالتفات, وأشاروا إليه في معاريض كلامهم, ومثّلوا عليه بأوضح آية تمثّله ألا وهي آية يونس قوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾** يونس22. [12]

ومن جاء بعد ابن المعتز ببرهة من الزمن خلطوا بين الالتفات وفنون البلاغة:

يقول قدامة بن جعفر (ت337): "ومن نعوت المعاني الالتفات، وهو أن يكون الشاعر آخذاً في معنى, فكأنه يعترضه إمّا شكّ فيه أو ظنّ بأنّ رادّاً يرد عليه قوله، أو سائلاً يسأله عن سببه, فيعود راجعاً إلى ما قدمّه فإمّا أن يذكر سببه, أو يحلّ الشكّ فيه, مثال ذلك قول المعطل: تبين صلاة الحرب منا ومنهم إذا ما التقينا والمسالم بادن

ثم يقول: فقوله بادن رجوع عن المعنى الذي قدمه, حين بيّن أنّ علامة صلاة الحرب أن المسالم يكون بادناً والمحارب ضامراً". [13]

وعلى هذا المنوال مثل ابن جعفر بالأمثلة العديدة, والمدقق في كلامه يتضح له أن التعريف الذي قدمه للالتفات هو تعريف الاعتراض أو الرجوع،[14] كذلك الأمثلة التي قدمها هي لأسلوب الاعتراض أيضاً, فيكون قد خلط بينهما.[15]

---

[11] ابن المعتز, عبدالله (ت296), كتاب البديع, تحقيق: أغناطيوس كراتشكوفسكي, دار المسيرة، الكويت, ط3, 1402هـ – 1982م, ص58.

[12] الفراء, أبوزكريا يحيى بن زياد (ت207هـ), معاني القرآن, تحقيق: أحمد يوسف نجاتي, دار الكتب المصرية، مصر, ج3, ص211. وانظر ابن قتيبة (ت276هـ), تأويل مشكل القرآن, دار الكتب العلمية، لبنان, ط2, ص177. والمبرد, أبو العباس محمد بن يزيد (ت285هـ), الكامل في اللغة والأدب, دار الفكرالعربي، مصر, ط3, 1417هـ – 1997م , ج2، ص43.

[13] قدامة بن جعفر , أبو الفرج (ت337هـ) , نقد الشعر , تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي , دار الكتب العلمية – لبنان , ص150 وانظر تعريف الالتفات عند البلاقلاني , أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم (ت403هـ) , اعجاز القرآن , تحقيق أحمد صقر , دار المعارف – مصر , ص98.

[14] الاعتراض هو: **أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة** , انظر الخطيب القزويني , جلال الدين محمد بن عبد الرجمن بن عمر بن أحمد بن محمد (ت739هـ) , الايضاح في علوم البلاغة , دار إحياء العلوم – لبنان , ط4, 1998م , ص193.

[15] علق على تعريف ابن جعفر أحمد مطلوب فقال ما معناه بأن ابن جعفر قد خلط بين الالتفات والرجوع فالتعريف أقرب إلى الرجوع , انظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها , مطبعة المجمع العلمي العراقي , 1403هـ – 1983م , ج1 , ص245 , وعلق علي تعريف ابن جعفر للالتفات محمد هاشم محمد بأنه اعتراض

ومن الذين التبس عليهم أمر الالتفات أبو هلال العسكري (ت395)، حيث جعل الالتفات في ضربين: **أحدهما:** ما قاله ابن جعفر من قبله, **والآخر**: **"**أن يفرغ المتكلم من المعنى فإذا ظننت أنه يريد أن يتجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به**"**.[16]

وغيرهم من القائلين في الالتفات آنذاك،[17] وهم معذورون في ذلك؛ لأنّ البلاغة لم تكن قد استقرت بعد، ولم يعط لكل فن خصوصيته. وهكذا حتى جاء الزمخشري (ت538) الذي وقف من الالتفات موقفاً محدداً أراح به أهل العلم؛ حيث كان عصره عصر الاستقرار لعلوم البلاغة فجاءت إضافته العلمية على الالتفات بتحديد مجاله وذكر فوائده وأغراضه, يقول الزمخشري وهو يتحدث عن الالتفات في آية الفاتحة, قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ الفاتحة 5: **"**فإن قلت لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب ؟ قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان , قد يكون من الغيبة إلى الخطاب , ومن الخطاب إلى الغيبة , ومن الغيبة إلى التكلم كقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ**﴾ يونس 22، **وقوله تعالى:** ﴿**وَاللَّـهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ**﴾ فاطر 9.

وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات:

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بالإثْمِدِ ونَامَ الخَلِيُّ ولَم تَرْقُـدِ

وبَاتَ وباتَتْ لهُ لَيْلةٌ كلَيْلةِ ذِى العائرِ الأرْمَدِ

وذلِكَ مِنْ نَبَإٍ جَاءَنى وخُبِّرْتُهُ عن أَبى الأَسْوَدِ

وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه, ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب, كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع, وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد, وقد تختص مواقعه بفوائد**"**.[18]

ومن الجدير بالذكر هنا أنّ أبيات امرئ القيس وقول الزمخشري: بأنّ فيها ثلاث التفاتات، أشكلت على العلماء, وذلك في تحديد مذهب الزمخشري في الالتفات، هل هو على تقدير أحد

---

[16] العسكري , أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت395) , الصناعتين الكتابة والشعر , علي محمد البجاوي , المكتبة العصرية – لبنان , 1408ه – 1986م , ص391. وانظر ابن منقذ أبو المظفر أسامة بن مرشد الشيزري (ت584) , البديع في نقد الشعر تحقيق أحمد بدوي و حامد عبدالحميد , مكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر , 1960هـ , ص 200

[17] انظر تعريف الالتفات عند البلاقلاني, أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم (ت403هـ), إعجاز القرآن, تحقيق أحمد صقر, دار المعارف، مصر, ص98, وابن رشيق, أبو علي الحسين بن رشيق القيرواني (ت463), العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده, تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد, دارالجيل, لبنان, ط5, 1401هـ – 1981م, ج2, ص45. والخطيب التبريزي (ت502هـ), الكافي في العروض والقوافي, تحقيق: حسن عبد الله, مكتبة الخانجي، مصر, ط3, 11415هـ – 1994م, ص185.

[18] الزمخشري, جار الله أبو القاسم محمود بن عمر, الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل, تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي أحمد معوض, مكتبة العبيكان, ط1, 1418هـ – 1998م, ص12. والسكاكي, أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي, مفتاح العلوم, تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي, دار الكتب العلمية، لبنان, ط1, 1420هـ – 2000م ص298.

الضميرين المحذوف، أم يشترط ظهور كل منهما؟ وتنبّه السكّاكي حينئذٍ لهذا الأمر فكان مذهبه جلياً في تطبيقه على الأمثلة يقول: قال ربيعة ابن مقروم:

بانَت سُعادُ فَأَمسى القَلبُ مَعمودا   وَأَخلَفَتكَ اِبنَــةُ الحُرِّ المَواعِيدا

فالتفت كما ترى حيث لم يقل: وأخلفتني, ثم قال:

ما لم ألاقِ امرءاً جزلاً مواهبُه   سهلَ الفناءِ ورحيـبَ الباعِ محمودَا

وقد سمعتُ بقومٍ يُحمَدُون فلـم   أسمع بمثلِك لا حِلـماً ولا جودَا

فالتفت كما ترى حيث لم يقل: بمثله. ومن الأبيات التي استشهد بها أيضاً: أبيات علقمة بن عبدة:

طحا بك قلبٌ في الحسان طروبُ   بعيدَ الشباب عصرَ حانَ مشيبُ

تكلِّفني ليلَى وقد شَطَّ وليــها   وعادت عوادٍ بيننا وخطــوبُ

فالتفت في البيتين.

وكذا ذكر أبيات امرئ القيس السابقة، وعلَّق عليها: بأنّ فيها ثلاث التفاتات. فمذهبه في الالتفات إذن تقدير الضمير المعدول عنه إلى غيره يقول في ذلك: التفتَ تلك الالتفاتات وكان يمكنه أن لا يلتفت البتة, وذلك أن يسوق الكلام على الحكاية في الأبيات الثلاثة فيقول:

تطاولَ ليليَ بالأثمدِ ونام الخليُّ ولم ترقدِ

وبتُّ وباتَت لنا ليلةٌ كليلةِ ذي العائرِ الأرمدِ

وذلك عن نبأ جاءني وخبرتُه عن أبي الأسود [19]

بينما الزمخشري وقوله في الأبيات غير جلي, ولكن باستقراء تفسيره نجد عنده المذهبين, فعلى سبيل المثال في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ البقرة 21, يقول في توجيه الالتفات فيها: "لما عدَّد سبحانه فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمافقين , وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم , وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها , ويحظيها عند الله ويرديها , أقبل عليهم بالخطاب, وهو من الاتفات المذكور عند قوله تعالى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ الفاتحة 5."[20] فلم يقدر الزمخشري الضمير فيقول بأن مقتضى الظاهر قوله سبحانه (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوني). وبمعنى آخر أن الزمخشري لم يوجه الالتفات عن الضمير المتكلم المعظم نفسه إلى ضمير المخاطب، وإنما كان توجيهه للالتفات من الغيبة في السياق السابق إلى الخطاب الحاصل في الآية. ومن الأمثلة الواردة عند الزمخشري في هذا المذهب قوله

---

[19] السكاكي, أبو يعقوب يوسف بن يحيى, مفتاح العلوم, دار الكتب العلمية, بيروت, 1420هـ -2000م, ص298.

[20] - الزمخشري , الكشاف , ج1 ص87

تعالى: **﴿إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾** الأنبياء 92-93, يقول: "والأصل تقطعتم, إلا أنّ الكلام حُرّف إلى الغيبة على طريقة الالتفات".[21] إذن فالزمخشري تبع السياق وانحرافاته.

وعلى مذهبه الآخر يمثل الدكتور محمد أبو موسى بأمثلة منها: "في قوله تعالى: **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّـهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّـهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّـهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾**. فإن قلت: هلاّ قيل: فآمنوا بالله وبي, بعد قوله: "إني رسول الله إليكم جميعاً"؟ قلت: عدل عن المضمر إلى الاسم الظاهر لتجرى عليه الصفات التي أجريت عليه, ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة. ويقول في قوله تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّـهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّـهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّـهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾**: ولم يقل "واستغفرت لهم" وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيماً لشأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتعظيماً لاستغفاره، وتنبيهاً على أن الشفاعة من اسمه "الرسول" من الله بمكان".[22]

ودافع عن الزمخشري واضع الحاشية على الكشاف المعروف بابن المنير, أحمد بن محمد، إذ يقول: "يعني أنه ابتدأ بالخطاب ثم التفت إلى الغيبة , ثم إلى التكلم وعلى هذا فهما التفاتان لا غير , وإنما أراد الزمخشري والله أعلم أنه أتى بثلاثة أساليب: خطاب لحاضر، وغائب، ولنفسه، فوهم بقوله ثلاث التفاتات، أو تجعل الأخير ملتفتا التفاتين عن الثاني وعن الأول فيكون ثلاثا، والأمر فيه سهل"،[23] والأمثلة التي عرضتها عن الزمخشري في تفسيره تبين خطأ ما ذهب إليه ابن المنير.

إذن فللزمخشري السبق في جعل حالة تقدير الضمير داخلاً في الالتفات وتبعه السكاكي.

ومن الذين جمعوا بين المذهبين – كالزمخشري والسكاكي- حازم القرطاجني (ت684) بقوله: "وهم يسأمون الاستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب , فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة , وكذلك يتلاعب المتكلم بضميره , فتارة يجعله ياء على جهة الإخبار عن نفسه, وتارة يجعله كافاً, أو تاءً فيجعل نفسه مخاطباً, وتارة يجعله هاءً فيقيم نفسه مكان الغائب, فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير متكلم، أو مخاطب لا يستطاب, وإنما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض".[24]

---

[21] السابق، ص 87

[22] انظر محمد محمد أبو موسى, البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية, مكتبة وهبة, القاهرة, 1408هـ - 1988م. ط2 , ص443.

[23]- انظر حاشية أحمد بن محمد المعروف بابن المنير, تفسير الكشاف, ج1, ص13.

2- حازم القرطاجني , محمد أبو الحسن, منهاج لبلاء وسراج لأدباء , تحقيق محمد الحبيب أبن الخوجة , دارالغرب الإسلامي ,بيروت – لبنان , ص348.

ومن الذين أضافوا على تعريف الالتفات أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير (ت637)، وجاءت إضافته في الربط بين المعنى اللغوي للالتفات والاصطلاحي تراه يقول:"وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه، وشماله, فهو يقبل بوجهه تارةً كذا وتارةً كذا, وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة؛ لأنه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة".[25] وصحيح أن الالتفات إقبال بالوجه من جهة إلى أخرى, ولكن الالتفات البلاغي لا يمكن أن يستوعب غير الصورة المتبادرة إلى الذهن، والقريبة إليه من الأساليب والصيغ وهو عدول الضمائر, إذ تعدل مثلاً عن ضمير خطاب إلى ضمير غيبة؛ لغرض تريده في نفسك، فينتج منه صورة تخيُّلية، وكأنك التفتَّ بوجهك لتحدث شخصاً آخر. وهذا الرأي هو ما بدأه ابن المعتز واستقر عليه الزمخشري, وبالنظر تارةً أخرى إلى تعريف ابن الأثير يلاحَظ خروجه عن حقيقة الالتفات التي وضعها، فوسَّع مجاله ليشمل كل انتقال، وهذا ما سيتضح بإذن الله تعالى في مطلب لاحق عند الحديث عن صور الالتفات.

هذه خلاصة المراحل التي مر بها مصطلح الالتفات, لخصَّها محمد أبو موسى في مؤلفه (خصائص التراكيب) في مذهبين:

الأول: مذهب الجمهور وهو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها والطرق الثلاثة هي: التكلم والخطاب والغيبة.

الثاني: مذهب السكاكي وهو أن يعبر بطريق من الطرق عما عبر عنه بغيره أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره.

وقال الدكتور أبو موسى بعد ذلك: فلهذا قالوا أن كل التفات عند الجمهور هو التفات عند السكاكي من غير عكس.[26]

إذن فالالتفات في الاصطلاح هو ما ذهب إليه الجمهور محدداً بمحددين:

الأول: أنه عدول ضمائر.

والثاني: لابد من تتابع الضميرين.

فيصير التعريف: هو العدول عن ضمير إلى آخر حقيقة لا تقديراً في التعبير عن الكلام الواحد.

المطلب الثالث: صور الالتفات

بعد درس الالتفات في اللغة والاصطلاح يسهل علينا درس صوره. وذلك بالنظر إلى التعريف الاصطلاحي الذي تم الاتفاق عليه للمصطلح:

---

[25] ابن الأثير, أبو الفتح ضياء الدين نصر الله محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت637هـ) , المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر , تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد , مطبعة مصطفى الباز الحلبي , 1358هـ – 1931م , ج2 , ص4.

[26] - أبو موسى , محمد محمد, خصائص التراكيب , الناشر مكتبة وهبة القاهرة , 1416هـ -1996م , ط4, ص259.

وهو: **العدول عن ضمير إلى آخر حقيقةً لا تقديراً في التعبير عن الكلام الواحد.**

وهذه الصور هي عدول الضمائر:

- ضميرالمتكلم والعدول عنه إلى ضميري الغيبة والمخاطب.
- ضمير الغيبة والعدول عنه إلى ضميري المتكلم والمخاطب.
- ضمير المخاطب والعدول عنه إلى ضميري المتكلم والغيبة.

فينتج من هذا لكل ضمير صورتين من العدول مجموعها ست صور.

وفي صور الالتفات انقسم العلماء إلى قسمين:

القسم الأول: المضيقون, وهم الذين قاربوا بين المعنى اللغوي والاصطلاحي, فالمعنى اللغوي عندهم هو عدول الوجه, وأقرب الأساليب إليه عدول الضمائر.

القسم الثاني: الموسعون, وهم من باعدوا بين المعنى اللغوي للمصدر والاصطلاحي فالمعنى اللغوي عندهم يكمن بمجرد التحول، وبمجرد الانتقال، فشمل الالتفات بهذا الرأي جميع صور التحول.

وكان أول المحددين لمجال الالتفات ابن المعتز (ت296)، وهو أول من أفرد له باباً مستقلاً في مؤلفه "كتاب البديع" يقول "هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك ".[27] ومن مؤيدي القسم الأول الزمخشري (ت538)، حيث قال: "قد يكون من الغيبة إلى الخطاب, ومن الخطاب إلى الغيبة, ومن الغيبة إلى التكلم".[28] وأيضاً الرازي (ت606) إذ يقول: "إنه العدول من الغيبة إلى الخطاب والعكس".[29] وتبعهم في ذلك من كبار العلماء في البلاغة السكاكي (ت626) عندما قال: "بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر".[30] وسلك مسلك هؤلاء كثيرون من أهل العلم منهم الزملكاني (ت651), والخطيب القزويني (ت739)، وشراح كتاب القزويني, والطيبي (ت743). ومن المتأخرين الدكتور محمد أبو موسى والباحثة خديجة البنائي, والباحث قاسم فتحي سليمان، وغيرهم، مما جعل هذا المذهب هو مذهب الجمهور وحتى لمن عني بعلوم القرآن وأشهرهم الزركشي في البرهان والسيوطي في الإتقان.

---

[27] - عبد الله ابن المعتز (ت296) , كتاب البديع , تحقيق أغناطيوس كراتشقوفكي , دار المسيرة - الكويت , ط3 , 1402ه – 1982م , ص58.

[28] - الزمخشري , جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت538) , الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل , تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض , مكتبة العبيكان , ط1 , 1418ه – 1998م , ج1 ص118.

[29] - فخر الرازي , محمد بن عمر بن الحسين , نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز , تحقيق نصر الله حاجي مفتي أوغلى , دار صادر – لبنان , ط1 , 1424ه – 2004م , ص172.

[30] - السكاكي , أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي (ت626ه) , تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي , دار الكتب العلمية – لبنان , ط1 , 1420ه – 2000م , ص296.

والملاحَظ أنّ من خرج عن هذه الصور الستة - وهم أصحاب القسم الثاني - كان عندهم عموم في التعريف، حتى يستوعبوا أنواع العدول الأخرى, وبالتالي تزيد عندهم صور الالتفات.

وبدأت هذه الظاهرة جليةً بالعالم أبي الفتح ضياء الدين ابن الأثير (ت637) حيث قال في تعريفه للالتفات: "وحقيقته مأخوذة من التفات الانسان عن يمينه وشماله , فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا ,كذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة ؛لأنه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب , أو من خطاب غائب إلى حاضر , أو من فعل ماض إلى مستقبل , أو من مستقبل إلى ماض , أو غير ذلك".[31]

رأينا ابن الأثير كيف يتكلم عن حقيقة الالتفات في معناه المحدد له في اللغة، ولا يلتزم فيه عند ربطه بالمصطلح، بل يربطه بالمعنى العام الذي يرجع إليه الالتفات في اللغة؛ مما يجعل التعريف مفتوحاً لصور أخرى حتى لمن يأتي بعده. ومن ثم يذكر ابن الأثير أقسامه إذ يشير إلى أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: في الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة.

وفي هذا القسم يمثل ابن الأثير بالأمثلة العديدة لصور الالتفات الستة لعدول الضمائر فهي عنده مدموجة بقسم واحد.

أما القسم الثاني عنده فهو: في الرجوع من الفعل المستقبل إلى فعل الأمر وعن الفعل الماضي إلى فعل الأمر.

والأخيرعنده: في الاخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وعن المستقبل بالماضي".[32]

وفي كتابه "الجامع الكبير" استدرك عدول العدد فجعله قسماً من الالتفات.[33]

وجاء بعده التنوخي ولم يُعرِّفه ولكنه ذكر صوراً له، وفي رأيه أنها تندرج في الصور الآتية:

- من الغائب إلى الخطاب.
- ومن الغائب إلى المتكلم.
- من ضمير الواحد إلى ضمير الجمع.

---

[31] - ابن الأثير , أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم , المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر , تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد , دمطبعة مصطفى الباز الحلبي وأولاده – مصر , 1358ه – 1939م , ج2 , ص4.

[32] - ابن الأثير , أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم , المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر , تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد , دمطبعة مصطفى الباز الحلبي وأولاده – مصر , 1358ه – 1939م , ج2 , ص4.

[33] - ابن الأثير , ضياء الدين , الجامع الكبير في صنا عة المنظوم من الكلام والمنثور , تحقيق مصطفى جواد , مطبعة المجمع العلمي العراقي , 1375ه-1956م , ص101.

- الرجوع من مخاطبة الواحد إلى الاثنين.

- استعمال الفعل الماضي في موضع الفعل المضارع والعكس.

وبعده جاء الطوفي (ت726)، وذكر تحت باب "شجاعة العربية" صنفين للالتفات: وعرِّف **الأول** منهما: على أنه: الرجوع عن أسلوب من أساليب الكلام إلى غيره، ثم قال: أشار إلى أنه ثلاثة أضرب:

الأول: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وعكسه.

الثاني: العدل عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر.

الثالث: في الالتفات من خطاب التثنية إلى خطاب الجمع ثم إلى خطاب الواحد،[34] ويعد الاستشهاد بالأمثلة على كل ضرب ذكر الصنف الثاني وهو: في الالتفات عن الماضي إلى المضارع وعكسه.

ويلاحظ عند الطوفي هنا إطلاقه للتعريف؛ فجاء مؤيداً لابن الأثير والتنوخي في عدِّهم لصور الالتفات, وأيّدهم في ذلك العصر صاحب "الطراز" يحي بن حمزة العلوي قائلاً: "ومعناه في مصطلح علماء البلاغة هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول, وهذا أحسن من قولنا: هو العدول من غيبة إلى خطاب, ومن خطاب إلى غيبة, لأن الأول يعم سائر الالتفاتات كلها, والحد الثاني إنما هو مقصور على الغيبة والخطاب لا غير, ولا شك أنّ الالتفات قد يكون من الماضي إلى المضارع, وقد يكون على عكس ذلك, فلهذا كان الحد الأول هو أقوى دون غيره".[35]

ومتأخراً جداً ألّف الدكتور حسن طبل كتاباً أسماه "أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية", وكانت مسألة التوسع في المصطلح من القضايا التي تناولها في بحثه, والتي من شأنها فتح أبواب كثيرة على الالتفات وصوره.

وهو مؤيد هذا الرأي بل وأكثر من سابقيه، إذ يقول: "والحق أن هذا الاتجاه الذي بدأه ابن الأثير والذي لم يكتب له الذيوع في مسيرة البحث البلاغي، هو فيما نرى اتجاه صائب؛ وذلك في ضوء ما لاحظناه من دوران الدلالة اللغوية للالتفات حول معنى الخروج والتحول عن المألوف، إذ من الطبيعي بناءً على ذلك أن تتسع دلالة الالتفات في المعنى الاصطلاحي لتشمل ظاهرة الخروج،

---

[34] - الطوفي , سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم (ت726) , الاكسير في علم التفسير , تحقيق عبد القادر حسين , مكتبة الأداب - مصر , 1397ه – 1977م , ص175.

[35] - العلوي , يحي بن حمزة بن علي بن ابراهيم , الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز , دار الكتب الخديوية , , 1222ه – 1914م, ج2 , ص133.

أو التحول الأسلوبي بكل تجلياتها وصورها"،[36] ثم أفرد لبحث صور الالتفات فصلاً خاصاً أسماه "من صور الالتفات في القران الكريم" - وكأنه يومئ بهذا الاسم إلى أنه لم يحصها بل بقي هناك صور أخرى ناتجة عن اتساع المصطلح – ذكر فيه أبرز هذه الصور حيث يشير إلى أن: "من أبرز مجالات الالتفات في القرآن فيما نرى: الصيغ، العدد، الضمائر، الأدوات، البناء النحوي، والمعجم".[37]

وبعد استيعاب آراء الموسعين الذين أحاطوا بأنواع العدول المختلفة - مقدرة لكل عالم رأيه واجتهاده - أبيّن وجهة نظري في عدولي عن رأيهم في التوسع إلى الرأي القائل بالضبط والتحديد بأمرين اثنين:

أولاً: أنّ لفظة الالتفات في اللغة جاءت منضبطة ومحددة بعدول الوجه، ولا شيء أقرب إليه من عدول الضمائر, فكيف أنسب إليها جنس الخروج والتحول، ولو كان ذلك كذلك فلا مانع إذن من إدراج أي أسلوب فيه تحول، كالحذف، والذكر، والتقديم، والتأخير، وأسلوب الاحتباك وغيره.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي لا بد أن يتبع المعنى اللغوي وإلاّ فما فائدة رجوع الباحث إلى المعاجم في دراسته، فسعة المصطلح ليست من صالحه ولا تصل به إلى مراده.

المطلب الرابع: فائدة الالتفات وأغراضه ومنزلته البلاغية

الفائدة الأولى:

للالتفات فوائد وأغراض، والفائدة هي ما تخص النوع البلاغي بصورة عامة تميزه عن النوع البلاغي الأخر، فمثلاً فائدة الالتفات عند الزمخشري - وهو أول من أشار إليها- فقال: "وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه، من إجرائه على أسلوب واحد وقد تختص

[36] - حسن طبل , أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية , , دار الفكر العربي – مصر, , 1418ه – 1998م , ص11.
[37] - حسن طبل , أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية , , دار الفكر العربي – مصر, , 1418ه – 1998م , ص11.

مواقعه بفوائد".[38] فما ذكره الزمخشري بصورة عامة هو فائدة ذلك الأسلوب وما خصه يعتبر أغراضا تخص المتكلم, وجاء ابن الأثير يوضح هذه الصورة بتعليقه على كلام الزمخشري حيث يشير إلى أن الأمر ليس: "كما ذكره لأنّ الانتقال في الكلام من أسلوب إلى أسلوب إذا لم يكن إلا تطريةً لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه فإن ذلك دليل على أن السامع يملّ من أسلوب واحد، فينتقل إلى غيره ليجد نشاطاً للاستماع، وهذا قدح في الكلام لا وصف له؛ لأنه لو كان حسناً ما مُلّ"،[39] ثم يذكر حججاً على رأيه في تخطئة الزمخشري فحواها ما يلي:

أولاً: كثرة المواضع القصيرة إلا المطولة التي جاءت في القرآن تبرهن على الانتقال من أسلوب إلى أسلوب من غير أن يمل سامعها.

ثانياً: أن استعمال الالتفات - من المنتقل عنه إلى المنتقل إليه مقصود للمخالفة لا لاختيار الأحسن لإيصال الغرض المرجو. [40]

ثم ذكر رأيه فقال: "والذي عندي في ذلك أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضته، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، غير أنها لا تحد بحد، ولا تضبط بضابط، لكن يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها غيرها".[41]

ولا أجد هنا فرقا بين الرأيين، إلاّ أن الزمخشري ذكر فائدته بين أساليب البلاغة الأخرى، وابن الأثير لم يذكر إلاّ أغراضه الخاصة. ونرد على ابن الأثير دعواه في تخطئة الزمخشري: أن الزمخشري في دعواه بأن الالتفات تنشيط وإصغاء للسامع صحيح؛ إذ وأنت تقرأ القرأن يستوقفك مثل ذلك ويشد انتباهك, فيستدعي إصغاءك وتيقظك لمثل هذه الظاهرة، فهذه الفائدة تكاد تكون الفائدة الأصل لكل الأغراض الحاصلة في كل موضع، وهي تحسب لإمام البلاغة نباهة وبعد نظر, وفي هذا الصدد نستحضر دفاع صاحب الطراز - "يحيى بن حمزة العلوي" - عن الزمخشري، حيث قال: "وما قاله الزمخشري لا غبار على وجهه، وهو قول سديد يشيرإلى مقاصد البلاغة، ويعتضد بتصرف أهل الخطاب. ومن مارس طرفاً من علوم الفصاحة لاح له على القرب أن ما قاله الزمخشري قوي من جهة النظر، يدري كنهه النظار، ويتقاعد عن فهمه الأغمار".[42] كما أن إمامنا

---

[38] _الزمخشري , تفسر الكشاف ,ج1 ,, ص14.
[39] __ اين الأثير , المثل السائر , ج2 , ص4.
[40] __ ابن الأثير , المثل السائر , ج2 , ص5.
[41] __ ابن الأثير , المثل السائر , ج2 , ص5.
[42] __ يجيى العلوي , الطراز , ج2 , ص133.

لم يغفل جانب الخصوصية لهذا الأسلوب، بل ذكره قائلاً: "وقد تختص مواقعه بفوائد".[43] ونبّه إليه عند تعرضه لمواضع الالتفات في تفسيره.

وحذا من جاء بعد الزمخشري من العلماء حذوه في أن يذكر أولاً الفائدة العامة، ثم عند تعرضه لأمثلة من القرآن يذكر توجيهه للأغراض، ومن هؤلاء الطوفي في كتابه "الإكسير في علم التفسير".[44] وأبي حيان التوحيدي في تفسيره "البحر المحيط"،[45] والزركشي في برهانه،[46] وصاحبه السيوطي في إتقانه.[47]

ومن أبرز العلماء المعاصرين أطال الله في عمره وزاد له في علمه من الذين شهدوا للزمخشري ونهجوا نهجه الدكتور محمد أبو موسى في "خصائص التراكيب" قال فيه بعد ذكره الأمثلة: "وقد رأينا أن مزيته البلاغية تختلف من أسلوب إلى أسلوب، ولا يمكن أن تضبطه وتحده مزاياه، والمهم في إدراكه حسن التأتي، وصدق النظر، والوعي بسياق الكلام، ونوع المعنى، نعم هناك فائدة عامة لهذه الخصوصية تتحقق أينما وجدت، وقد أحسن الزمخشري بيانها"،[48] ثم ذكر ما قاله الزمخشري، وبعد ذلك أثنى على الزمخشري قوله وفعله، فقال: "وقد كرّر هذا المعنى كثيراً، كما كررّه البلاغيون بعده، وهي فائدة ذات قيمة كبيرة في الأسلوب؛ لأن إيقاظ الحس وإثارة الملكات من أبرز العناصر التي تتوفر في الكلام المختار".[49]

يتضح بعد هذا أن الفكرة تكمن في الأسلوب عامة، ومواضع وروده خاصة، وبمعنى آخر تحس بفائدة الالتفات العامة بالنظر إلى الموضع الذي حصل فيه، وبالبحث عن أسراره ومراميه وسياقاته تحصل على أغراضه الخاصة، وهذا حال ودأب أنواع البلاغة الأخرى والله تعالى أعلم.

الفائدة الثانية:

---

[43] الزمخشري , تفسير الكشاف , ج1 , ص14.

[44] الطوفي , الاكسير في علم اتفسير , ص175.

[45] أبو خيانالتوحيدي , محمد بن يوسف , تفسير البحر المحبط , تحقيق عادل عبد الموجود و علي معوض , دار لكتب العلمية , بيروت _ لبنان , سنة الطبع 1993م , ط1 , ج1 , ص141.

[46] الزركشي, بدر الدين محمد بن عبدالله ن جهاد , البرهان في علوم القرآن , تحقيق محمد أبو الفضل , دار احياء الكتب العربية ,, سنة الطبع 1376هـ, ط1 , د3 , ص326.

[47] السيوطي , جلال الدين عبد الرحمن , الاتقان في علوم القرآن , تحقيق سعيد المندوب , دار الفكر , لبنان, سنة الطبع 1416هـ , ط1 , ج2 , ص233.

[48] محمد محمد أبو موسى , خصائص التراكيب , الناشر مكتبة وهبه , القاهره , سنة الطبع 1416هـ _ 1996م ,ط4 , ص259.

[49] السابق.

يعرف العلماء البلاغة على أنها: مطابقة الكلام لمقتضى الحال.[50] والأساليب البلاغية ما هي إلا أوصاف للألفاظ تفيد المعنى عند التركيب. وهذا ما ذهب إليه الجرجاني عند قوله بأن النظم هو: "التأجِّي (التوخّي) لمعاني النحو فيما بين الكلم على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام".[51]

فمن هذا المنطلق الأصل تظهر الصلة بين الالتفات والأغراض والدوافع التي يريدها المتكلم، فالالتفات إنما هو تلك الحالة النفسية الشعورية التي يريد القائل أن يبوح بها لتصل إلى المتلقي في أوضح وأقرب صورة، تتلاءم وحالته النفسية، فيعمد إلى تلك النقلة الشعورية اللفظية؛ ليضرب بها على وتر حساس في نفس المتلقي، لتجعلهما أقرب ما يكونان مشتركين في شعورهما وتصورهما عن الموضوع مدار الحديث الذي قصد إليه.[52]

وهذا ابن الأثير يوثق الصلة بين الالتفات والذوق السليم المدرب؛ إذ الانتقال من صيغة إلى صيغة مرتبط بالمعنى، والمعاني متشعبة لا نهاية لها؛ لأنها تابعة للأغراض النفسية والمقاصد الاجتماعية. [53] فيقول: "والذي عندي أن الالتفات من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب، لا يكون إلى لفائدة اقتضته، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، غير أنها لا تحد بحد، ولا تضبط بضابط، ولكن يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها غيرها، فإنا قد رأينا الانتقال من الخطاب إلى الغيبة قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب، ثم رأينا ذلك بعينه قد استعمل في الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، فعلمت حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة، إنما هو مقصود على العناية بالمعنى المقصود، وذلك المعنى يتشعب شعباً كثيرة لا تنحصر، وإنما يؤتى بها على حسب الموضع الذي ترد فيه".[54]

ويلاحظ أن الزركشي قد ألمح إليها بالمثال: إذ يقول في قوله تعالى: ﴿**وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ يس 22. "الأصل وإليه أرجع، فالتفت من التكلم إلى الخطاب، وفائدته أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه، وهو يريد نصح قومه تلطفاً وإعلاماً أنه يريده لنفسه، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله"،[55] وقد أصابهم بالهزة النفسية بالانتقال في محاولة لوضعهم تحت الحقيقة التي يجاهدون أنفسهم لإنكارها، وهذه الفائدة تظهر لكل من جاء على طرف من توجيه الالتفات لا سيما البلاغيون والمفسرون.

---

[50] انظر الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص12.
[51] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز، تحقيق د. محمد التنجي، ص78.
[52] لبناني، خديجة، الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، ص45.
[53] المصدر السابق، ص45.
[54] ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص5.
[55] الزركشي، السابق، ص

يقول أبو حيان في تفسيره[56]: (وفائدة هذا الالتفات إظهار الملكة في الكلام والاقتدار على التصرف فيه وقد ذكر بعضهم مزيداً على هذا وهو إظهار فائدة تخص كل موضع ونتكلم على ذلك حيث يقع لنا منه شيء).

ونكتفي بهذا القدر من النقولات بياناً على ما قدمنا من فائدته الخاصة.

منزلة الالتفات البلاغية

هذا الأسلوب في البلاغة من أشهر الأساليب التي حازت على لقب شجاعة العربية،[57] ويقدم العلوي إفادته في ذلك فيقول: "اعلم أن الالتفات من أجل علوم البلاغة هو أمير جنودها والواسطة في قلائدها وعقودها) ثم يقول: "وقد سمي شجاعة العربية، والسبب في تلقيبه بذلك، هو أن الشجاعة هي الإقدام، والرجل إذا كان شجاعاً فإنه يرد الموارد الصعبة، ويقتحم الأمور العظيمة حيث لا يرِدُها غيره ولا يقتحمها سواه، ولا شك أن الالتفات مخصوص بهذه اللغة العربية دون غيرها".[58]

ومن الذين بينوا منزلته ابن الأثير، إذ يقول: "هذا النوع وما يليه هو خلاصة علم البيان التي حولها يدندن، وإليها تستند البلاغة وعنها يعنعن"،[59] ثم يقول: بعد التعريف بالالتفات وذكره الأمثلة عليه: "واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أنّ العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة، والذي اطلع على أسرارهما وفتش عن دفائنهما، ولا تجد ذلك في كل كلام؛ فإنه من أشكل ضروب علم البيان، وأدقها فهماً، وأغمضها طريقاً". [60]

يُفهم من كلام ابن الأثير أمران:

الأمر الأول: علوّ منزلة هذا الأسلوب بين الأساليب؛ إذ يحتاج إلى فهم دقيق وعلم غزير بالفصاحة والبلاغة.

الأمر الثاني: علو منزلة العالم به.

ويقول مظفر العلوي في ثنايا حديثه عنه: "وهو بديع البديع".[61]

وجعله الطوفي تحت باب شجاعة العربية،[62] وعلق عليه أبو حيان بأنه: "كثير في القرآن وهو من محاسن العربية"،[63] والقول بأنه كثير في القرآن يزيد الأسلوب شرفاً وتألقاً.

---

[56] أبو حيان التوحيدي، تفسير البحر المحيط، ج1، ص141.
[57] ابن الأثير، المثل السائر، ص4.
[58] العلوي، الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج2،ص131.
[59] ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص4
[60] المصدر السابق، ج2، ص14.
[61] العلوي، مظفر الفضل (ت656هـ)، نضرة الاغريض ي نصرة القريض، ص105.

ويحدد الدكتور محمد أبو موسى مجاله الذي أكسبه القيمة الحقيقية، وكونه من شجاعة العربية، يقول: "والذي نراه أن الشجاعة هنا إقدام على أنماط من التعبير مخالفة لما يقتضيه الأصل لأنها تعبير بأسلوب الخطاب في سياق الغيبة، وذكر الغيبة في سياق الخطاب وهكذا، والمعتمد عليه في ذلك سياق الكلام وشفافية الدلالة. وهذا وإن تأملت ضرباً من الشجاعة واقتحام سبيل غير السبيل المألوف، وتفسيرنا هذا لشجاعة العربية هو ما يتلاءم مع ما ذكره ابن جني في باب سماه (شجاعة العربية)، وأراد به الحذف والتقديم والحمل على المعنى وغير ذلك، مما هو خلاف الأصل، ولا ضير في أن يقودنا هذا التفسير إلى أن نعد كثيراً من فنون التعبير من شجاعة العربية".[64]

وورود هذا الأسلوب بكثرة في القرآن الكريم يكفيه شرفاً وقيمة، ودلالة على أن الكلام البليغ الذي يؤدي مؤداه في مطابقة الكلام لمقتضى الحال لا بد أن يأتي على طرف منه لاستجلاب الايحاءات النفسية والإيماءات الحسية التي تستدعي التدقيق في الأغراض والتفكير في الدوافع والدواعي.

المبحث الثاني

مفهوم القراءات القرآنية

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: تعريف القراءات القرآنية
- المطلب الثاني: أنواع القراءات

---

[62] الطوفي، الإكسير في علم التفسير، ص176.
[63] أبو حيان، البحر المحيط، ج2، ص208.
[64] محمد أبو موسى، السابق.

المطلب الأول: مفهوم القراءات القرآنية

القراءات في اللغة: جمع قراءة، وهي مصدر قرأ، وقرأ في اللغة يقال: قرأ يقرأ قراءة، وقرآنا بمعنى تلا فهو قارئ، والقرآن متلو.[65]

أما في الاصطلاح: فهي كيفيات أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها معزواً إلى ناقله،[66] ويقول الدمياطي في تعريفه لعلم القراءات: "هو العلم الذي يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف، والإثبات، والتحريك، والإسكان، والفصل، والوصل وغير ذلك، من هيئة النطق والإبدال، وغيره من حيث السماع"[67]. والقراءات جزء من الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"[68].

فالأحرف السبعة ما هي إلا وجوه متعددة متغايرة منزلة من وجوه القراءة،[69] والقراءات القرآنية العشر جملة ما تبقى من الوجوه القرائية للأحرف في العرضة الأخيرة، والتي أقرأها جبريل عليه السلام للنبي -صلى الله عليه وسلم-.

يقول البغوي: "جمع الله تعالى الأمة بحسن اختيار الصحابة على مصحف واحد، وهو آخر العرضات على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكان أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- قد أمر بكتابته

---

[65] مختار الصحاح، الرازي، ص20. القاموس المحيط، الفيروزأبادي، ص62.
[66] منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري، ص3.
[67] اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، الدمياطي، ص5.
[68] رواه البخاري ومسلم. فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني، ج9، ص23. المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، ج6، ص101.
[69] حديث الأحرف السبعة، عبد العزيز القارئ، ص65.

جمعاً بعد ما كان مفرقاً في الرقاع؛ ليكون أصلاً للمسلمين، يرجعون إليه ويعتمدون عليه، وأمر عثمان بنسخه في المصاحف وجمع القوم عليه، وأمر بتحريق ما سواه قطعاً لمادة الخلاف".[70]

ويدلي ابن الجزري بدلوه في هذه الجزئية فيقول: "إن المصاحف العثمانية لم تكن محتوية على جميع الأحرف السبعة التي أبيحت بها قراءة القرآن"، ثم يعلل ذلك فيقول "لأننا إذا قلنا أن المصاحف العثمانية محتوية على جميع الأحرف السبعة التي أنزلها الله تعالى كان ما خالف الرسم يُقطع بأنه ليس من الأحرف السبعة، وهذا قول محظور؛ لأن كثيراً مما خالف الرسم قد صح عن الصحابة -رضوان الله عليهم-، وعن النبي صلى الله عليه وسلم".[71]

وهذا ما ذهب إليه الإمام مكي بن أبي طالب: "إن هذه القراءات التي يقرأ بها الناس اليوم، وصحت روايتها عن الأئمة، إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، ووافق اللفظ بها خط المصحف، مصحف عثمان الذي أجمع الصحابة ومن بعدهم عليه وطرح ما سواه مما يخالف خطه... وجمع المسلمين عليه ومنع القراءة بما يخالف خطه، وساعده في ذلك زهاء – أي قدر – اثني عشر ألفاً من الصحابة والتابعين، واتبعه على ذلك جماعة من المسلمين بعده، وصارت القراءة عند جميع العلماء بما يخالفه بدعة وخطأ وإن صحت ورويت".[72]

ويضع الدكتور أحمد شكري القاعدة التالية: "كل قراءة صحيحة متواترة هي من الأحرف السبعة وليس كل شيء من الأحرف السبعة متواتراً لكونه قد نسخ من العرضة الأخيرة".[73]

مثال يوضح المقال: قال تعالى في سورة البقرة: **﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّـهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّـهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾** في كلمة (جبريل) سبعة أوجه قرائية، أي سبعة أحرف، خمسة منها قراءات صحيحة وقراءتان متروكتان:

الوجه الأول: (جِبرِيل) بكسر الجيم والراء، وحذف الهمزة وإثبات الياء فهي قراءة المدنيين والبصريين وابن عامر وحفص عن عاصم الكوفي.

الوجه الثاني: (جَبرِيل) بفتح الجيم وكسر الراء وإثبات الياء من غير همزة وهي قراءة المكي ابن كثير.

الوجه الثالث: (جَبرَئيل) بفتح الجيم والراء وإثبات الهمزة وسكون الياء وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف.

---

[70] المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة، ص144.

[71] منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري، ص21.

[72] الابانة عن معاني القراءات، مكي بن أبي طالب، ص33.

[73] مقدمات في علم القراءات، أحمد شكري، أحمد القضاة، محمد منصور، ص40.

الوجه الرابع: الوجه السابق مع حذف الياء (جَبرَئل) وهي رواية أبي بكر عن عاصم.

الوجه الخامس: هو الوجه السابق حال الوقف بتسهيل الهمزة بين بين – أي بين الهمزة والياء – وهو وجه لحمزة.[74]

أما **الوجهان المتروكان:**

الوجه الأول: (جبرائل) بألف قبل الهمزة وحذف الياء وهي رواية الحسن البصري.

الوجه الثاني: (جَبرَئِل) بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة ولام مشددة وهي قراءة محيصن.[75]

إذن هذه سبعة أوجه لكلمة واحدة تواتر منها خمسة وشذ اثنان، وبما أن القراءات القرآنية الصحيحة ثبتت بالعرضة الأخيرة للقرآن على النبي -صلى الله عليه وسلم-، فهي إذن بمنزلة القرآن ربانية المصدر.

يقول الدكتور أحمد شكري – وزميلاه- في كتابه مقدمات في علم القراءات: "والمدقق في كلمات القرآن الكريم يجد أنها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الكلمات التي لم تنزل إلا بوجه واحد وبكيفية واحدة، وهي أكثر القرآن الكريم.

القسم الثاني: الكلمات التي نزلت بعدة أوجه وهي جملة ما بقي من الأحرف السبعة وهي أوجه الاختلاف التي ينقلها القراء بالتواتر جيلاً بعد جيل.

وعليه فإن القرآن والقراءات حقيقة واحدة باعتبار كونهما وحياً من عند الله تبارك وتعالى، فإن القراءات المتواترة والاختلاف الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الكلمات جزء من الوحي النازل على النبي صلى الله عليه وسلم".[76]

المطلب الثاني: أنواع القراءات القرآنية

للحديث عن تقسيم القراءات إلى أنواع لا بد من وضع اعتبارات لهذا التقسيم

- **باعتبار قبول القراءة وردها**

---

[74] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ص248. تحبير التيسير في القراءات العشر، ابن الجزري، ص95.

[75] القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح القاضي، ص50.

[76] مقدمات في علم القراءات، أحمد شكري، أحمد القضاة، محمد منصور، ص50.

تقسم القراءات القرآنية باعتبار القبول والرد الى قسمين: [77]

القسم الأول: القراءات المتواترة: وهي القراءات التي حصل لها التواتر، ووافقت أحد الوجوه الصحيحة في اللغة، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.

إذن أركان القراءة الصحيحة ثلاثة:

1. التواتر.
2. موافقة الرسم العثماني ولو احتمالاً.
3. موافقة اللغة ولو بوجه.

وبتحقق التواتر يحصل للقراءة الشرطين الآخرين، يقول الصفاقصي: **"**مذهب الأصوليين وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدثين والقراء: أن التواتر شرط في صحة القراءة ولا تثبت بالسند الصحيح غير متواتر ولو وافقت رسم المصاحف العثمانية**"**[78]

أي أن بالتواتر يتحقق للقراءة الرسم والعربية والعكس غير صحيح، والقراءات الصحيحة التي نقلت إلينا بالتواتر هي القراءات العشر:

- نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني: وأشهر من رووا عنه القراءة قالون وورش.
- ابن كثير المكي: وراوياه البزي وقنبل.
- أبو عمرو البصري: وراوياه الدوري والسوسي.
- عبد الله بن عامر الشامي: وراوياه هشام بن عمار وابن ذكوان.
- عاصم الكوفي: حفص وشعبة.
- حمزة بن حبيب الزيات الكوفي: راوياه خلف البزار وخلاد.
- الكسائي الكوفي: راوياه أبو الحارث والدوري.
- أبو جعفر المدني: راوياه عيسى بن وردان وابن جماز.
- يعقوب البصري: راوياه رويس وروح.
- خلف العاشر: راوياه اسحاق بن ابراهيم وإدريس بن عبد الكريم.

والقراءات العشر تلك هي المعول عليها في موضوع بحثنا - إن شاء الله –

القسم الثاني: القراءات الشاذة: وهي القراءات القرآنية التي اختل فيها شرط المتواترة.

- **باعتبار نوع الاختلاف بينها**

---

[77] منجد المقرئين وسراج الطالبين، ابن الجزري، ص15.

[78] التواتر عن الأصوليين: يعني خبر عدد يمتنع معه لكثرته تواطؤ على الكذب عن محسوس، وخبر عن عدد كذلك إلى أن ينتهي إلى محسوس. انظر شرح الكوكب المنير، ابن النجار الفتوحي، ص324.

القسم الأول: قراءات تعنى بالتفسير.

القسم الثاني: قراءات تعنى بالنطق للتخفيف والتسهيل.

يقول ابن الجزري في ذلك: "وقد تدبرنا اختلاف القراءات كلها، فوجدناها لا تخرج من ثلاثة أحوال، أحدها: اختلاف اللفظ والمعنى واحد، والثاني: اختلافها جميعاً مع جواز اجتماعها في شيء واحد، والثالث: اختلافها جميعاً مع امتناع الجواز، إذ اجتماعها في شيء واحد واتفاقها من وجه آخر لا يقتضي التضاد".[79] ثم يوضح ذلك بالأمثلة، فمثال الأول الاختلاف في (الصراط)، والثاني مثل عليه بقراءتي (مالك وملك)، ومن الثالث (وظنوا أنهم قد كذبوا) بالتشديد والتخفيف في (كذبوا) وغير ذلك من الأمثلة التي طرحها ابن الجزري.

فالحالة الثانية والثالثة من حالات اختلاف القراءات عند ابن الجزري هي مقصودنا بالقراءات التي تعنى بالتفسير، فبجواز اجتماع كلا القرائتين المختلفتين تكون قد تحققت الغاية من الاختلاف، وهي التفسير، ففي المثال السابق: (ملك) و (مالك) فالمراد به هو الله سبحانه وتعالى فهو مالك يوم الدين وملكه.

يقول ابن عاشور في مقدمته السادسة لتفسيره: "أرى أن للقراءات حالتين أحدهما لا تعلق لها بالتفسير بحال، والثانية لها تعلق به من جهات متفاوتة.

الحالة الأولى: اختلاف القراءات في وجوه النطق بالحروف والحركات كمقادير المد والإمالة والتخفيف والتسهيل.

أما الحالة الثانية: فهي اختلاف القراء في حروف الكلمات مثل: مالك يوم الدين وملك يوم الدين – وننشرها وننشزها.... وكذلك اختلاف الحركات الذي يختلف معه معنى الفعل كقوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ قرأ نافع بضم الصاد، وقرأ حمزة بكسر الصاد، فالأولى بمعنى يصدون غيرهم عن الإيمان، والثانية بمعنى صدودهم في أنفسهم، وكلا المعنيين حاصل منهم، وهي من هذه الجهة لها مزيد تعلق بالتفسير".[80]

وكذلك ما يقدمه تغاير القراءات من أساليب بيانية تثري المقام صوراً فنية، ومعانٍ جمالية. وقد تكلم العلماء عن فوائد اختلاف القراءات وأشاروا إلى هذا المعنى:

---

[79] - ابن الجزري , النشر في القراءات العشر , ج1 , ص65.

[80] ابن عاشور،

يقول السيوطي: "إذا كان لكل قراءة معنى، فإن من وجوه إعجاز القرآن وإيجازه تنوع قراءاته، ودلالة ذلك بمنزلة تعدد الآيات وهذا نوع عظيم من البلاغة"[81].

وممن نبه إليه الرافعي في كتابه إعجاز القرآن إذ يقول: "وثالثة تلحق بمعاني الإعجاز وهي: أن تكون الألفاظ في اختلاف بعض صورها، مما يتهيأ معه استنباط حكم، أو تحقيق معنى من معاني الشريعة؛ ولذا كانت القراءات من حجة الفقهاء في الاستنباط والاجتهاد. وهذا المعنى مما انفرد به القرآن الكريم، ثم هو مما لا يستطيعه لغوي أو بياني في تصوير خيال، فضلاً عن تقرير شريعة".[82]

وأشار الشيخ محمد أبو زهرة إلى أن: "مجموع القراءتين –كلتاهما في القرآن- قد يكون دالاً على معنيين في لفظ واحد، متلاقيين غير متضاديين... وقد يكون اختلاف القراءة كمال التوضيح البياني من غير قصور في إحداهما ولكن بالقراءتين يكون البيان كاملاً".[83]

وذكر علماء القرآن هذه الفائدة ضمن فوائد تغاير القراءات: "ومن هذه الفوائد: ما تشتمل عليه القراءات العشر المتواترة من أوجه البلاغة والبيان والإعجاز والإيجاز، إذ كل قراءة بمنزلة الآية، فكان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات، ولو جعلت دلالة كل لفظة آية لم يخف ما كان في ذلك من التطويل، فقدر الله عز وجل أن تشتمل آيات القرآن على معانٍ غزيرة في عدد معين منها، وذلك عن طريق احتمال الكلمة التفسير لمعانٍ مختلفة عند ورود التغيير فيها وفق مراد الوحي".[84]

ومما لا شك فيه أن وقوع حرف من حروف المضارعة مكان حرف هو من وجوه الإعجاز البياني في القراءات،[85] وبحثنا في الالتفات من باب ورود حرف زائد من حروف المضارعة مكان حرف آخر والله تعالى أعلم.

- **باعتبار الاختلاف الواقع في الكلمات القرآنية**

القسم الأول: القراءات التي تندرج تحت أصول.

القسم الثاني: القراءات التي لا تندرج تحت أصول.

والأصول: هي القواعد الكلية التي تعرض على جميع القراءات فيدخل تحت كل قاعدة الجزئية التي تناسبها وتطرد عليها.

وعرفها ابن الجزري بأنها: "القواعد المطردة التي تنطبق على كل جزئيات القاعدة، والتي يكثر ورودها، وتطرد ويدخل في حكم الواحد منها الجميع، بحيث إذا ذكر حرف من حروف القرآن

---

[81] قطف الأزهار وكشف الأسرار، السيوطي، ج1، ص97.

[82] إعجاز القرآن، الرافعي، ص47.

[83] المعجزة الكبرى، أبو زهرة، ص59.

[84] الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج1، ص227. مناهل العرفان، الزرقاني، ص145.

[85] الاعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية، أحمد بن محمد الخراط، ص47.

الكريم ولم يقيد يدخل في تحته كل ما كان مثله، فالتفخيم للخاء المفتوحة مثلاً يكون مطردا في كل كلمة ترد في القرآن فيها خاء مفتوحة".[86]

والأصول التي يذكرها علماء القراءات كثيرة منها: الاستعاذة والبسملة، وسورة أم القرآن والإدغام الكبير وغيرها.[87]

أما القسم الثاني: الألفاظ التي لا تندرج تحت أصول وتسمى الفرش: كونها تفرش في القرآن فرشاً بلا ضابط يجمعها، أو هي الكلمات التي يقل ورودها وتكرارها من حروف القراءات المختلف فيها في القرآن الكريم ولم تطرد، ومثاله ما ورد في سورة البقرة: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ فقد قرأ الكوفيون الأربعة عاصم وحمزة والكسائي وخلف وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب (يخدعون) وقرأ الباقون من العشرة (يخادعون).[88]

والتغاير بين حروف المضارعة يندرج تحت القراءات الفرشية.

نستنتج بعد دراسة القراءات القرآنية أن محلّ الالتفات فيها هو: القراءات العشر المتواترة، التي تعني بالتفسير، وهي ألفاظ فرشية ليست مطردة ولا تحكم بقاعدة.

الفصل الأول:

الالتفات في القراءات القرآنية.

المبحث الأول: تعريف الالتفات في القراءات القرآنية.

المبحث الثاني: ظاهرة الالتفات في القراءات عند العلماء.

[86] شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ص167.

[87] التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني. الاقناع في القراءات السبع، ابن الباذش. تحبير التيسير في القراءات العشر، ابن الجرزي.

[88] شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ص168. مقدمات في علم القراءات، أحمد شكري، أحمد القضاة، محمد منصور، ص77.

المبحث الأول: تعريف الالتفات في القراءات القرآنية.

وقد أشار بعض الباحثين إلى مفهوم الالتفات في القراءات – متأخراً –**, وهم لم يقصدوا تعريف المصطلح وإنما توضيح ماهيته** ووصف صوره:

منهم الدكتور أحمد سعد محمد يقول: "ويغلب أن يترتب الالتفات في القراءات على تلك الأوجه التي تتغاير قراءتها بين أحرف المضارعة "التون والتاء والياء" وهي أحرف تشير بحسب الإسناد إلى معاني التكلم والخطاب والغيبة على الترتيب. فكان ثمة مواضع يقرأ فعلاها تارة بالنون معاً جرياً على مقتضى الظاهر , كما يقرأ أولهما بالنون والآخر بالياء تارة أخرى , فيكون ذلك صرفاً للكلام عن نسقه ووجهه على سبيل الالتفات من التكلم إلى الغيبة , وثمة مواضع أخرى يقرأ فعلاها تارة بالياء معاً , كما يقرأ أولهما بالياء والآخر بالتاء تارة أخرى , فيترتب على ذلك التفات من الغيبة إلى الخطاب".[89] فهو يشرح ماهيته دون أن يضع له مفهوماً يختصر به ما فصله.

فتعريف الالتفات في القراءات نبدؤه من تعريف الالتفات في اللغة، نقول: هو عدول حاصل بين أحرف المضارعة الثلاثة (النون والتاء والياء) الدالة على التكلم والخطاب والغيبة، وذلك في أحد وجوه تغاير القراءات القرآنية.

فإذا جاءت الجملة القرآنية مشتملة على فعلين فتارة يقرآن بوجه واحد وهذا مقتضى الظاهر، أما إذا قرئ أحدهما بالياء والثاني بالنون مثلاً كان ذلك على طريقة الالتفات.

جاء في القراءات القرآنية من صور الالتفات خمسة وهي:

- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب والعكس.

---

[89] التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، أحمد سعد محمد، ص332. الالتفات في القراءات القرآنية، محمد الزغول، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد الثاني، 2006م.

- الالتفات من الغيبة إلى التكلم والعكس.
- الالتفات من التكلم إلى الخطاب.

يقول الدكتور أحمد سعد: "ومن خلال تتبع ظواهرها القرائية، لاحظنا أن صور الالتفات هذه تتفاوت نماذجها من حيث الكثرة والقلة، فبينما تكثر نماذج الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، ومن الغيبة إلى التكلم، تقل نماذج الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، ومن التكلم إلى الغيبة، أما الالتفات من التكلم إلى الخطاب فنادر الوقوع"[90] ثم يعلل هذه الكثرة والقلة فيقول: "إن هذا التفاوت إنما يهدينا إلى ملحظ أسلوبي يحكم هذه الظاهرة القرآنية على عمومها، وهو أن حديث المواجهة والإقبال على المخاطب، وحديث النفس، هو الشائع في القراءات، وما ذلك إلا لاستحضار الذات الفاعلة وجذب المتلقين، ولفت انتباههم إلى تأمل المعاني التي تتعلق بها مواضيع العدول، والتفكير في الأغراض التي تنعقد عليها ترغيباً أو ترهيباً في مقامات الوعد أو الوعيد. فعنصر التنبيه في القراءات عنصر أصيل يحصل من التحول والعدول عن مقتضى الظاهر، وفي هذا العدول يكمن السر وإليه يكون القصد في التفكير فيه للنفاذ إلى مغزاه".[91]

وسيظهر هذا جلياً بإذن الله تعالى عند الحديث عن أغراض الالتفات في المرحلتين المدنية والمكية.

المبحث الثاني: ظاهرة الالتفات في القراءات عند العلماء

في البداية نرصد هذه الظاهرة منذ ورودها كإشارات في كتب معاني القرآن.

بدأت هذه الإشارات بالفراء صاحب (معاني القرآن) إذ يقول: "وقوله عز وجل في سورة القيامة **﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾**،[92] رويت عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (بل يحبون ويذرون) بالياء، والقرآن يأتي على أن يخاطب المنزل عليهم أحياناً، وحيناً يُجعلون كالغيب كقوله تعالى في سورة يونس: **﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾**.[93]

وعند أبي عبيدة، في قوله تعالى: **﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾** يقول: نصب مالك على النداء وقد تحذف النداء ومجازه ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ لأنه يخاطب شاهداً ألا تراه يقول: **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾**

---

[90] السابق.

[91] التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، أحمد سعد محمود، ص 341 – 342.

[92] -قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر يحبون ويذرون بالياء جميعًا , وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي تحبون وتذرون بالتاء. انظر في هذا ابن مجاهد , السبعة في القراءات , ص661. وابن الجزري , تحبير التيسير في القراءات العشر , ص598.

[93] الفراء، معاني القرآن، ج3، ص 211.

فهذه حجة لمن نصب...، ومجاز من جر ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾[94]، حدَث عن مخاطبته غائباً ثم رجع إلى مخاطبته شاهداً فقال ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾.[95]

يلاحظ أن السمة الظاهرة لتلك الإشارات عند العالمين الاستشهاد بأدل الآيات وأوضحها على موضوع الالتفات في القراءات.

وبعد هذه اللمحات تطورت الدراسات وأصبح هناك دراسات خاصة لتوجيه القراءات، وبتتبع هذه الدراسات نجد أن العلماء قد نهجوا في تناول الظاهرة منهجين اثنين:

المنهج الأول: تتبع النسق الظاهري, وردّ القراءة إلى النسق.

المنهج الثاني: تتبع السياقات والمقامات, وردّ القراءة إلى الدواعي البلاغية.

المنهج الأول: تتبع النسق الظاهري ورد القراءة إلى النسق:

المنادون بهذا المنهج هم أصحاب كتب التوجيه، وطريقتهم في ذلك **إما التوفيق** بين القراءتين بأن يحملوا القراءة المخالفة إما على التغليب أو على تقدير قل أو غير ذلك. **والطريقة الأخرى**: التفريق بين القراءتين فيحملون الأولى على المشاكلة، والثانية على أنها من باب التحول والخروج والالتفات دون ذكر الدواعي. والأسرار البلاغية المؤدية إلى الخروج والتحول.

يقول الدكتور أحمد سعد في هاتين الطريقتين: "ولم يكن ثمة حدود فاصلة بين هذين المذهبين في الواقع، ولكن ما يعنينا من ذلك هو إبراز إختلاف وجهات نظرهم في استجلاء المعاني التي يحتملها السياق والمقام".[96] لذا جعل الطريقتين في منهج واحد لأنه لا يوجد حدود فاصلة تفصل الطريقتين عن بعضهما.

والأمثلة على هذا المنهج من كتب التوجيه كثيرة نذكر منها:

كتاب الحجة في القراءات لابن خالويه (370هـ) من أوائل كتب توجيه القراءات، يقول في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿**وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا**﴿٧٧﴾﴾ أنها تقرأ بالتاء والياء،[97] فالتاء جامعة للخطاب والغيبة ويريد بذلك أنتم وهم، والياء لمعنى الغيبة فقط.[98]

وفي قوله تعالى في سورة النحل: ﴿**وَلَنَجْزِيَنَّ**﴾ يقرأ بالياء والنون،[99] فالحجة لمن قرأه بالياء أنه رده على قوله ﴿**مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّـهِ بَاقٍ**﴾ والحجة لمن قرأها بالنون أنه أراد أن يأتي

---

[94] - الجمهور على قراءة الجر وقراءة النصب قراءة شاذة وإنما نوردها هنا لغاية وصف الظاهرة عند العالم الجليل أبي عبيدة , وهي قراءة الأعمش وقتادة و غيرهما ينظر أبو حيان , البحر المحيط , ج1 , ص133.

[95] مجاز القرآن، أبو عبيدة، ج1، ص22.

[96] التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، أحمد سعد محمد، ص336.

[97] - قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف وأبو جعفر وروح "ولا يظلمون" بالياء والباقون من العشرة بالتاء ,.ينظر اين الجزري , تحبير التيسير في القرات العشر , ص342

[98] الحجة في القراءات، ابن خالويه، ص125.

بأول الكلام محمولاً على آخره، فوافق بين قولين ﴿**فَلَنَجْزِيَنَّ**﴾ وقوله ﴿**فلنحيينه**﴾ وأمثلة أخرى عديدة نجدها عند ابن خالويه كان فيها يرد الآخر على الأول.[100]

ومن الأوائل أيضاً في دراسة القراءات وتوجيهها أبو منصور الأزهري (377هـ)، يوجه القراءة في قوله تعالى في سورة البقرة آية (285) ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ فيقول: "قرأ الحضرمي بالياء وكسر الراء، وقرأ الباقون (**لا نفرق**) بالنون. وأخبرني المنذري عن أحمد بن يحيى أنه قال: "النون هي الاختيار وعليه قرأ الأمصار ومعناها: يقول (**لا نفرق**) فيكون القول فيه مضمراً. ومن قرأ (**لا يفرق**) فإنه يريد من آمن بالله لا يفرق وكل آمن وكل لا يفرق".[101]

ثم جاء الفارسي فلخص القول في هذا المنهج عند حديثه عن جزء ﴿**وما الله بغافل عما تعملون**﴾ وتغاير القراءات فيها في القرآن الكريم قائلاً: "أن القول في جملة ذلك أن ما كان قبله خطاب جعل بالتاء ليكون الخطاب معطوفاً على خطاب مثله كقوله ﴿**ثم قست قلوبكم**﴾ ﴿**وما الله بغافل عما تعملون**﴾ فالتاء هنا حسن لأن المقدم خطاب، ولو كان: (وما الله بغافل عما يفعل هؤلاء الذين اقتصصنا عليكم قصصهم أيها المسلمون) لكان حسناً. وإن كان الذي قبله غيبة حسن أن يجعل على لفظ الغيبة ليعطف ما للغيبة على مثله".[102] يلاحظ أن الفارسي قد ذكر ما هو أولى للقراءة عند توجيهها، فما كان للخطاب فهو يرد على الخطاب، وما كان للغيبة يرد للغيبة، وذكر حالة أخرى وهي اختلاف مرجعي الضميرين حين حسن قراءة الياء في (وما الله بغافل عما يفعل هؤلاء الذين اقتصصنا عليكم قصصهم أيها المسلمون)، وفي الآتي يذكر الفارسي حالة مجيء الغيبة وقبلها الخطاب فيقول: "ويجوز فيما كان قبله لفظ غيبة الخطاب. ووجه ذلك أن تجمع بين الغيبة والخطاب فتغلب الخطاب على الغيبة؛ لأن الغيبة يغلب عليها الخطاب" ثم يقول: " ويجوز في الخطاب بعد الغيبة وجه آخر، وهو أن يراد به قل لهم: ما الله بغافل عما تعملون، فعلى هذا النحو تحمل هذه الفصول".[103]

وظل هذا المنهج هو السائد عند علماء التوجيه إلى وقتنا الحاضر، ومن أهم الدراسات في هذا المنهج أيضاً:

- الحجة في القراءات لابن زنجلة (403هـ).[104]

---

[99] - قرأ ابن كثير وعاصم وأبو جعفر بالنون والباقون بالياء , ينظر ابن الجزري , تحبير التيسير في القراءات العشر , ص333.

[100] المرجع السابق، ص109، 112، 128، 136، 141، 216.

[101] معاني القرآن، أبو منصور الأزهري، ص239.

[102] الحجة للقراء السبعة، الفارسي، ج2، ص112.

[103] المصدر السابق، انظر ج3: ص43، 70، 73، 113، 181، 324، 356.

[104104] - انظر أمثلة ذلك صفحة , 303, 304 – 403 - 482 – 528.

- الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (437هـ).[105]
- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات للباقولي (543هـ).[106]
- الموضح لابن أبي مريم (565هـ).[107]

ومتأخراً في:

- طلائع البشر في توجيه القراءات العشر للقمحاوي.
- المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة لسالم محمد محيسن.

ويمثل هذان الكتابان الأخيران الطريقة الأخرى في المنهج، وهي طريقة التفريق بين وجوه التغاير في الوجوه القرآنية دون النظر إلى الدواعي البلاغية، ومثال ذلك في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّـهِ يَبْغُونَ**﴾ آل عمران 83، يقول صاحب طلائع البشر: "قرئ بالغيب[108] لمناسبة لفظ (من) وضمير (من) في الآية قبلها. وقرئ بتاء الخطاب على الالتفات"[109].

ويقول الدكتور محيسن في نفس الآية: "قرأ أبو عمرو وحفص ويعقوب **(يبغون)** بياء الغيبة لمناسبة قوله تعالى ﴿**فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ آل عمران 82، ثم يقول وقرأ الباقون **(تبغون)** بتاء الخطاب؛ وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب،[110] وإن كان هذا موجوداً عند السابقين ولكنه قليل جداً.[111]

المنهج الثاني: تتبع السياقات والمقامات ورد القراءة إلى الدواعي والأغراض.

هذه الطريقة لا تكاد توجد، بدأها ابن جني ولم يتقدمه أحد من العلماء ولاسيما في توجيه الالتفات في القراءات.

يوجه ابن جني القراءة في قوله تعالى **(يُرْجَعُونَ)** بياء مضمومة من قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّـهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴿٢٨١﴾﴾ إذ يقول: "إن ترك الخطاب إلى لفظ الغيبة كقوله تعالى ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم﴾ غير أنه تصور معنى مطروقاً هنا فحمل الكلام عليه، وذلك أنه كأنه قال: (واتقوا يوماً يرجع فيه البشر إلى الله) فأضمر على ذلك، فقال: يُرجعون فيه إلى الله – وقد شاع عنهم حمل ظاهر اللفظ على معقود

---

[105] من أمثلته صفحة : 248 – 344 – 353 – 369.

[106] -

[107] - انظر صفحة , 870, 871 – 887 , 888 -. وغيرها.

[108] - قرأ حفص وأبو عمرو ويعقوب بالياء "يبغون" والباقون من العشرة بالتاء. ينظر ,ابن الجزري , تحبير التيسير في القراءات العشر , ص325.

[109] طلائع البشر، القمحاوي، ص45.

[110] المغني في توجيه القراءات، سالم محمد محيسن، ج1، ص347.

[111] انظر الحجة في القراءات للفارسي، ج2، ص347. حجة القراءات، ابن زنجلة، ص154. الكشف عن وجوه القراءات، مكي بن أبي طالب، ج1، ص436. تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج2، ص341.

المعنى وترك الظاهر. وكأنه – والله أعلم- إنما عدل عن الخطاب إلى الغيبة فقال: يرجعون بالياء رفقاً من الله تعالى بصالح عباده المطيعين لأمره".[112]

ثم يتجاوز ابن جني الحدود السطحية – بعرض الغرض من الالتفات – إلى التوظيف البلاغي والداعي الذي دعا إليه المقام لتحويل الكلام والعدول به عن ظاهره، فيقول: "وذلك أن العودة إلى الله للحساب أعظم ما يخوف ويتوعد به العباد فإذا قرئ ﴿**تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّـه**﴾ فقد خوطبوا بأمر عظيم يكاد يستهلك ذكره المطيعين العابدين، فكأنه تعالى انحرف عنهم بذكر الرجعة فقال: يُرجعون فيه إلى الله، ومعلوم أن كل وارد هناك على أهول أمر وأشنع خطر فقال يُرجعون فيه إلى الله، فصار كأنه قال: يجازون أو يعاقبون أو يطالبون بجرائرهم فيه، فيصير محصوله من بعد، أي: فاتقوا أنتم يا مطيعون يوماً يعذب فيه العاصون، ومن قرأ بالتاء (ترجعون) فإنه فضل تحذير للمؤمنين؛ نظراً لهم واهتماماً بما يعقب السلامة بحذرهم".[113]

ثم ينعى على أصحاب المنهج السائد تناولهم الظاهرة بسطحية فيقول: "وليس ينبغي أن يقتصر في ذكر علة الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب، بما هو عادة توسط أهل النظر أن يفعلوه، وهو قولهم: إن فيه ضرباً من الاتساع في اللغة للانتقال من لفظ إلى لفظ – هذا ينبغي أن يقال إذا عَري الموضع من غرض معتمد وسر على مثله تتعقد اليد".[114]

ومن الأمثلة التي تناولها وتوضح منهجه, في قوله تعالى﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ بعد قوله: "**الْحَمْدُ لِلَّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾**﴾ يقول: "فليس ترك الغيبة إلى الخطاب اتساعاً وتصرفاً، بل هو لأمر أعلى ومهم من الغرض أعني – وذلك أن الحمد معنى دون العبادة، ألا تراك قد تحمد نظيرك ولا تعبده لأن العبادة غاية للطاعة والتقرب بها هو النهاية والغاية فلما كان كذلك استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة فقال: (**الْحَمْدُ لِلَّـهِ**) ولم يقل (لك)، ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى أمر للطاعة قال: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ فخاطب بالعبادة إصراحاً بها وتقرباً منه – عز اسمه – بالانتهاء إلى محدوده منها، وعلى نحو منه جاء آخر السورة فقال ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾ فأصرح بالخطاب لما ذكر النعمة، فقد قال: ﴿**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ**﴾ ولم يقل غير الذين غضبت عليهم، وذلك أنه موضع تقرب من الله بذكر النعمة، فلما صار الكلام إلى ذكر الغضب قال: ﴿**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ** ﴾ حتى كأنه قال: غير

---

[112] المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها، ابن جني، ج1، ص145.
[113] المرجع السابق، ج1، ص145.
[114] المرجع السابق، ج1، ص146.

الذين غُضب عليهم، فجاء اللفظ منحرفاً به عن ذكر الغاضب، ولم يقل: غير الذين غضبت عليهم كما قال ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فأسند النعمة إليه لفظاً وروى عنه لفظ الغضب تحنناً وتلطفاً".[115]

رأينا كيف كان ابن جني يصف الظاهرة بعناصرها كأن يقول: التحويل من وإلى الآية التي تشتهر في موضوع الالتفات، ولم يكتف بهذا القدر كسابقيه من العلماء وإنما يوظف هذه العناصر توظيفاً بلاغياً لاستجلاب الدواعي والأغراض فأعطى الظاهرة قيمتها ورد لها اعتبارها.

وكان من البدهي بعد ذلك أن يمتد أثر هذه الطريقة في البحث إلى توجيه القراءة, إذ ألفينا الموجهين لاسيما المفسرين منهم لا يكادون يتكئون على تلك العلة الأولية العامة في تحليلهم لصور الالتفات المترتبة على تغاير القراءات، بل فتحوا عيون فكرهم وعقدوا أيديهم على فوائدها البلاغية الخاصة التي قد تَردُ عليها مواضعها، وفطنوا إلى أن تلك الفوائد تختلف باختلاف سياقها ومقامها[116].

الفصل الثاني:

أغراض الالتفات من الغيبة إلى الخطاب والعكس

تمهيد بين يدي الأغراض

وفيه مبحثان:

---

[115] انظر امثلة أخرى عند ابن جني في المحتسب، ج1، ص314، ج2، ص125، ص126.

[116] التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، أحمد سعد محمد، ص341.

المبحث الأول: أغراض الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

المبحث الثاني: أغراض الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

تمهيد

ارتأيت أن أضع لهذا الفصل تمهيداً بين يديه؛ لأوضح فيه خطوطاً عريضة لمعرفة أغراض الالتفات في القراءات، ومنها:

- أنّ دراسة الالتفات في القراءات القرآنية محصورةٌ في الأفعال المضارعة وهذا يلقي بظلاله على فائدة استخدام الفعل المضارع في الكلام، فالفعل المضارع في الكلام يفيد استحضار الصورة والتجدد والاستمرارية. وعند تطبيق ذلك على الفعل والفعل الملتفت إليه بضمير لكل واحد منهما تجد نقلة كبيرة في استحضار الصورة واستمرارية الغرض المرجو من الأسلوب ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّـهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**﴾ البقرة 144. فعندما يلتفت سبحانه عن الإخبار عنهم بالغيبة إلى الوعيد والتهديد لهم بالخطاب، يستحضر هنا صورة فعلتهم وقبحها عند الله، وبالتالي وقع التهديد والوعيد أكبر، فالغرض منه التشديد عليهم في

التهديد والوعيد، وحتى يكونوا متحققين من وقوعه ومتثبتين، ويبقى هذا في حسابهم كلما فكروا أن يخالفوا أمر الله تعالى.

- عند دراسة الالتفات في القراءات لا بد من اعتبار أن الضمير المطابق للآخر في إحدى القراءتين يرجع مرجوعه في الضمير المخالف في القراءة الأخرى، ففي المثال السابق قوله تعالى: **﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّـهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾** البقرة 144، في قراءة التاء يقول أبو حيان: "قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء على الخطاب فيحتمل أن يراد به المؤمنون لقوله: **﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾**، ويحتمل أن يراد به أهل الكتاب فتكون من باب الالتفات".[117] وإذا اتفقت القراءتان في مرجع الضمير يُنظر إلى ما الداعي لذلك وهو كما قال أبو حيان من كونه التفاتاً.

- حصل الالتفات في القراءات في سبعة وستين موضعاً من القرآن الكريم موزعة على المكي والمدني، فالمكي في ثلاثة وعشرين سورة فيها ستة وأربعون موضعاً، بينما المدني في سبع سور فيها سبعة عشر موضعاً. وبالنسبة والتناسب يكون الالتفات في القسم المكي بلغ أربعة أضعاف المدني تقريباً.
- أغلب المواضع التي حصل فيها التفات تقع في فواصل الآيات القرآنية، وذلك ليكون رداً نهائياً قاطعاً وحاسماً لا مرد له ولا عودة فيه على أقوال وأفعال صدرت لا بد من الجزاء عليها والحكم فيها، منها ما هو وعيد وترهيب ومنها ما هو وعد وترغيب. فمن الأول قوله تعالى: **﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّـهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾** البقرة 96، وكقوله تعالى: **﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّـهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّـهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّـهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾** آل عمران 180. ومن الثاني قوله تعالى: **﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّـهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** النساء 114.

---

[117] أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف(ت745)، تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل محمد عبد الموجود،وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية،بيروت، الطبعة الاولى،1413-1993م.ج1 , ص604.

- المفسرون الذين ذكروا أن للالتفات أغراضاً وألمحوا إليها هم: الزمخشري في تفسيره الكشاف، وأبو حيان في تفسيره البحر المحيط، والسمين الحلبي في الدرّ المصون، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم ومن بعده الألوسي في تفسيره روح المعاني، وابن عاشور في التحرير والتنوير، ومن المكثرين في توجيه الالتفات الألوسي وابن عاشور، فجزاهم الله تعالى جميعاً على خدمة القرآن خير الجزاء.
- يذكر المفسرون عند التعرض للآيات التي فيها التفات احتمالات أخرى غير الالتفات وفي هذه الحالة لا أقتصر على الالتفات بناءً على ما تتطلبه طبيعة البحث وقد أناقش أحياناً بعض هذه الاحتمالات، فمن هذه الاحتمالات مثلاً حالة تقدير المحذوف كقول المفسر في قوله تعالى: ﴿**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّـهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾ (بما يعملون) القراءة بالتاء على تقدير قل لهم يا محمد. أو اختلاف مرجعي الضمائر كقول المفسر في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّـهِ وَمَا اللَّـهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ البقرة 74، أن على قراءة الياء للمسلمين والتاء تكملة لخطاب المشركين من بني إسرائيل، أو كحالة رد الضمير إلى الضمير وهي واضحة جداَ عند المفسرين, ففي المثال الذي سبق ذكره من قوله تعالى: ﴿**قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّـهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**﴾ فيقول المفسر بأن على قراءة التاء مردودة إلى قوله تعالى: (فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ" أي للمؤمنين)

المبحث الأول: أغراض الالتفات من الغيبة إلى الخطاب

هذه الصورة من الالتفات هي أقوى الصور على الإطلاق، إذ تضع كلاً من الطرفين الملتفِت والملتفَت إليه وجهاً لوجه أمام الحقيقة. فكان من أجلى أغراضها وأوضحها إيقاعاً للحجة على المنكرين وأبلغ في تشديد الوعيد على النفس.

فمن أغراض الالتفات في القراءات من الغيبة إلى الخطاب في القسم المكي:

1. **التشديد في التوبيخ:**

وذلك في قوله تعالى من سورة الأنعام: **﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّـهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّـهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّـهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾** قرأ القراء العشرة عدا ابن كثير وأبا عمرو ويعقوب (تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) بتاء الخطاب. [118]

والمقام مقام ذم لمشركي مكة, ذلك أنّ المشركين لمّا استشعروا نهوض الحجّة عليهم في نزول القرآن بأنّه ليس بِدعاً ممّا نزل على الرّسل، ودحضَ قولهم: **﴿لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً﴾** الفرقان 7، توغّلوا في المكابرة والجحود فقالوا **﴿ما أنزل الله على بشر من شيء﴾** وتجاهلوا ما كانوا

---

[118] أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عمرو، دار الكتاب العربي، بيروت، 1404- 1984م،الطبعة الثانية، ص77. ابن الجزري، أبو الخير محمد الدمشقي، (ت 833)، النشر في القراءات العشر،تحقيق علي محمد الصباغ، دار الكتب العلمية،بيروت ص359.

يقولونه عن إبراهيم عليه السّلام، وما يعلمونه من رسالة موسى عليه السلام وكتابه. فروى الطبري عن ابن عبّاس ومجاهد: أنّ قائل ذلك هم المشركون من قريش.
وقد جاءت هذه الآية في هذا الموقع كالنتيجة لما قبلها من ذكر الأنبياء وما جاءوا به من الهدى والشّرائع والكتب، فلا جرم أنّ الّذين قالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، قد جاءوا إفكاً وزوراً، وأنكروا ما هو معلوم في أجيال البشر بالتّواتر. وهذه الجملة مثل ما حكاه الله عنهم في قوله: ﴿وقال الّذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالّذي بين يديه﴾ سبأ 31. [119] ووصفه إياهم بقوله ﴿تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً﴾ مع أن الظاهر لا شغل لهم بالتوراة؛ فهي أنزلت على بني إسرائيل، يقول ابن عاشور في ذلك: "وقوله: (تجعلونه قراطيس) يجوز أن يكون صفة سببيّة للكتاب، ويجوز أن يكون مُعترضاً بين المتعاطفات. وقرأ (تجعلونه وتبدون وتخفون) بتاء الخطاب مَن عدا ابنَ كثير، وأبَا عمرو، ويعقوب، من العشرة، فإمّا أن يكون الخطاب لغير المشركين إذ الظاهر أن ليس لهم عمل في الكتاب الذي أنزل على موسى ولا باشروا إبداء بعضه وإخفاء بعضه فتعيّن أن يكون خطاباً لليهود على طريقة الإدماج (أي الخروج من خطاب إلى غيره) تعريضاً باليهود وإسماعاً لهم وإن لم يكونوا حاضرين من باب إياكَ أعنِي واسمَعي يا جارة، أو هو التفات من طريق الغيبة الّذي هو مقتضى المقام إلى طريق الخطاب. وحقّه أن يقال يجعلونه بياء المضارع للغائب كما قرأ غير هؤلاء الثّلاثة القرّاء. وإمّا أن يكون خطاباً للمشركين. ومعنى كونهم يجعلون كتابَ موسى قراطيس يبدون بعضها ويخفون بعضها أنّهم سألوا اليهود عن نبوة محمّد -صلى الله عليه وسلم- فقرأوا لهم ما في التّوراة من التمسّك بالسبتِ، أي دين اليهود، وكتموا ذكر الرّسول -صلى الله عليه وسلم- الّذي يأتي من بعدُ، فأسند الإخفاء والإبداءُ إلى المشركين مجازاً لأنّهم كانوا مظهراً من مظاهر ذلك الإخفاء والإبداء. ولعلّ ذلك صدر من اليهود بعد أن دخل الإسلام المدينة وأسلم مَن أسلم من الأوس والخزرج، فعلم اليهود وبال عاقبة ذلك عليهم فأغروا المشركين بما يزيدهم تصميماً على المعارضة. وقد قدّمتُ ما يرجّح أنّ سورة الأنعام نزلت في آخر مدّة إقامة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمكّة، وذلك يوجب ظنّنّا بأنّ هذه المدّة كانت مبدأ مداخلة اليهود لقريش في مقاومة الدّعوة الإسلاميّة بمكّة حين بلغت إلى المدينة".[120]

فالالتفات إليهم مبالغة عليهم في التوبيخ , وعلى تحليل ابن عاشور بأن الوصف مقدم لمشركي مكة مجازاً فيه قوة في الإعلان بأنهم مثلهم مشركون معهم في الجريمة.

---

[119] ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس،1884، ج7، ص361، 362.
[120] ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج7، ص364، 365.

ومنه قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُ[121]مْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾**﴾.

قرأ القراء العشرة عدا أبا عمرو (أن تقولوا), (أو تقولوا) بتاء الخطاب.[122]

يقول السمين الحلبي في الدر المصون: "قرأ أبو عمرو "يقولوا" قي الموضعين بالغيبة جرياً على الأسماء المتقدمة, والباقون بالخطاب, وهذا واضح على قولنا إن (شهدنا) مسند لضمير الله تعالى. وقيل: على قراءة الغيبة يتعلق (أن يقولوا) بأشهدهم , ويكون (قالوا شهدنا) معترضاً بين الفعل وعلته, والخطاب على الالتفات فيكون الضميران لشيء واحد". [123]

والكلام مسوق لتوبيخ المشركين الذين يخالفون فطرهم بإشراكهم, وهذا التوبيخ يقرع آذانهم ويقيم عليهم الحجة يوم القيامة، وهو أيضا ظاهر في المبالغة بإعلامهم بما يعلمون ﴿**وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ**﴾ يقول ابن عاشور: "هذا كلام مصروف إلى غير بني إسرائيل، فإنهم لم يكونوا مشركين والله يقول (أو تقولوا إنما أشرك آباءنا من قبل)، فهذا انتقال بالكلام إلى محاجة المشرين من العرب، وهو المقصود من السورة ابتداء ونهاية، فكان هذا الانتقال بمنزلة رد العجز على الصدر. جاء هذا الانتقال بمناسبة ذكر العهد الذي أخذ الله على بني إسرائيل في وصية موسى، وهو ميثاق الكتاب، وفي يوم رفع الطور. وهو عهد حصل بالخطاب التكويني أي بجعل معناه في جبلة كل نسمة وفطرتها، فالجملة معطوفة على الجمل السابقة عطف القصة على القصة.والمقصود به ابتداءً هم المشركون. وتَبَدُّل أسلوب القصة واضح إذ اشتملت هذه القصة على خطاب في قوله: (أن تقولوا يوم القيامة) إلى آخر الآية. وإذ صرح فيها بمعاد ضمير الغيبة وهو

2، ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التيمي البغدادي، السبعة في القراءات،تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة،1400،الطبعة الثانية ص297.أبو عمرو الداني، التيسير في القراءات السبع، ص82.ابن الجزري، تحبير التيسير في القراءات العشر ,،ص 381.

[123] السمين الحلبي،الدر المصون،ج4،ص514.

قوله (من بني آدم)، فعموم الموعظة تابع لعموم العظة. فهذا ابتداء لتقريع المشركين على الإشراك، وما ذكر بعده إلى آخر السورة مناسب لأحوال المشركين".[124]

والمواجهة بالخطاب أبلغ في التوبيخ والإلزام،[125] وإيقاع االحجة أقوى.

في قوله تعالى: **﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا ۚ قُلِ اللَّـهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ"[126] قرأ القراء العشرة عدا روح "ما تمكرون" بتاء الخطاب﴾**[127].

المقام مقام توبيخ على التعنت والإصرار على الكفر , لما ذكر تعالى قوله **﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾** يونس 15, ثم ذكر قوله **﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾** يونس20، وذلك على سبيل التعنت, أخبر أن هؤلاء إنما يسيرون لهذه المقالات عندما يكونون في رخاء من العيش وخلو بال, وأن إحسان الله تعالى قابلوه بما لا يجوز من ابتغاء المكر لآياته, وكان خليقاً بهم أن يكونوا أول من صدق بآياته , وإعراضهم عن الآيات نظير قوله: **﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾** يونس12, وسبب نزولها, أنه لما دعا الرسول على أهل مكة بالجدب قحطوا سبع سنين, فأتاه أبو سفيان فقال: ادع لنا بالخصب, فإن أخصبنا صدقنا, فسأل الله لهم فسقوا ولم يؤمنوا.

فالخطاب بعد الغيبة مبالغة لهم في الإعلام بحال مكرهم والتفاتاً لقوله (قل الله) أي قل لهم فناسب الخطاب.[128]

يقول السمين الحلبي في كتابه الدر المصون ما معناه أن من قرأ بالخطاب كان للمبالغة في الإعلام بمكرهم،[129] وذهب إلى ذلك أبو السعود فيقول: وتلوين الخطاب يعرضه عن رسول الله إليهم للتشديد والتوبيخ.[130].

---

[124] ابن عاشور،التحرير والتنوير،ج9، ص165، 166.

[125] الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين سيد محمود، (ت 1279)،تحقيق السيد محمود شكري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج9،ص102.

[126] سورة يونس: آية 21

[127] الأصبهاني، أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران(ت381)، المبسوط في القراءات العشر،تحقيق سبيع حمزة حاكمي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ص232، ابن الجزري، تحبير التيسير في القراءات العشر، ص397، النشار، أبو جعفر سراج الدين عمر بن زين الدين قاسم بن محمد بن علي الأنصاري (ت 938)، البدو الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وأحمد عيسى حسن المعصراوي، دار عالم الكتب،بيروت،(1421-2000 م)، الطبعة الأولى.، ج1 ص399

[128] - أبو حيان،البحر المحيط، ج5،ص140.

[129] السمين الحلبي،الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج8 ص148

كذا الحال في قوله تعالى من سورة القيامة: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف العاشر (تحبون، وتذرون) بتاء الخطاب.[131]

من أهم أغراض سورة القيامة: إثبات البعث, والتذكير بيوم القيامة وذكر أشراطه, وإثبات الجزاء على الأعمال التي عملها الناس في الدنيا, واختلاف أحوال أهل السعادة وأهل الشقاء وتكريم أهل السعادة, والتذكير بالموت وأنه أول مراحل الآخرة،[132] وكل هذه الأغراض تدفع بالإنسان إلى الإيمان والتصديق، وإلا فهو يؤثر الدنيا ويغفل عن الآخرة، فكان من أغراض السورة الزجر عن إيثار منافع الحياة العاجلة على ما أعد لأهل الخير من نعيم. وفي تفسير ابن عطية عن عمر بن الخطاب ولم يسنده أنه قال: "من سأل عن القيامة أو أراد أن يعرف حقيقة وقوعها فليقرأ هذه السورة".[133] وفي تفسير الآية يقول ابن عاشور: "وقوله (بل يحبون العاجلة) إضراب إبطالي يفصِّل ما أجمله الردع ب (كلا) من إبطال ما قبلها وتكذيبه, أي لا معاذير لهم في نفس الأمر ولكمهم أحبوا العاجلة أي شهوات الدنيا وتركوا الآخرة, والكلام مشعر بالتوبيخ ومناط التوبيخ هو حب العاجلة مع نبذ الآخرة. ويجوز أن يكون إبطالاً لما تضمنه قوله (ولو ألقى معاذيره) فهو استئناف ابتدائي. والمعنى: أن معاذيرهم باطلة ولكنهم يحبون العاجلة ويذرون الآخرة, أي آثروا شهواتهم العاجلة ولم يحسبوا للآخرة حساباً. وقرأ الجمهور (تحبون) و(تذرون) بتاء فوقية على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في موعظة المشركين مواجهة بالتقريع لأنه ذلك أبلغ فيه. وقرأه ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب بياء تحتية على نسق ضمائر الغيبة السابقة والضمير عائد إلى (الإنسان) في قوله (بل الإنسان على نفسه بصيرة) جاء ضمير جمع لأن الإنسان مراد به الناس المشركون, وفي قوله (بل تحبون) ما يرشد إلى تحقيق معنى الكسب".[134] فالمقام إذن مقام توبيخ مناطه حب الدنيا وترك الآخرة, وقراءة الخطاب والمواجهة أبلغ في ذلك. وبمعنى آخر أن قراءة التاء خطاباً لهم تقريعاً وتوبيخاً وعلى قراءة الياء يكون الكلام عائداً إلى الإنسان[135].

---

130 أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج4 ص132

131 ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص660، الأصبهاني، المبسوط في القراءات العشر، ص453، وانظر ابن الباذش، أبو حفص أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري،الاقناع في القراءات السبع، تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش، دار الفكر، دمشق،الطبعة الأولى،1403، ج2، ص798، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص393

132 ابن عاشور، الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس ت 1984هـ، ج29، ص337،

133 ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت546هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد،دار الكتب العلمية , بيروت , 1422هـ , 2001م , ط1 , ج5 , ص401.

134 ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج29، ص351.

135 ـ الشوكاني , محمد بن علي بن محمد (ت1250هـ), فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير , تحقيق يوسف الغوش , دار المعرفة , بيروت , 1428هـ - 2007م , ط4 , ص1559.

قوله تعالى في سورة الأعلى: **(بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾)** قرأ القراء العشرة (بل تؤثرون) بتاء الخطاب عدا أبا عمرو[136].

هذا الموضع من الالتفات كسابقه , في نفس الموضوع وهو إيثار الدنيا على الآخرة وحبها. وفي نفس المقام وهو مقام الذم والتوبيخ لمؤثريها , قوله تعالى: **" بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا"** إضراب عن مقدر ينساق إليه الكلام كأنه قيل إثر بيان ما يؤدي إلى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها[137]. أما الخطاب فهو إما للكفرة على وجه الخصوص , أو للكفرة والمؤمنيين بوجه عام أي لجنس الانسان. يقول أبو السعود [138]: (الخطاب إما للكفرة فالمراد بإيثار الحياة الدنيا هو الرضا ولاطمئنان بها والإعراض عن الآخرة بالكلية كما في قوله تعالى " إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها " أو الكل فالمراد بإيثارها ما هو أعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الإنسان غالباً من ترجيح جانب الدنيا على الآ خرة في السعي وترتيب المبادئ. ومن ثم يبين أبو السعود غرض الالتفات في الآية من خطاب الخاصة - وهم الكفرة – والعامة - وهم الناس – بقوله[139] (والالتفات على الأول لتَّشديد والتوبيخ وعلى الثاني كذلك في حق الكفرة وتشديد العتاب في حق المسلمين.وقرئ يؤثرون بالياء).

وعند البحث عن الآية في تفسير ابن عاشور نجد ما يشبع المقام مقالاً فقد تحدث عن سياق الآية بين الآيات ووضح فائدة الالتفات من الوجهة البلاغية , يقول[140]: (و" بل " هنا عاطفة جملة عطفاً صورياً فيجوز أن تكون لمجرد الانتقال من ذكر المنتفعين بالذكرى والمتحنيين لها , إلى ذكر سبب إعراض المتحنيين وهم الأشْقَون بأن السبب إيثارهم الحياة الدنيا وذلك على قراءة أبو عمرو ظاهر وأما على قراءة الجمهور فهو إضراب عن حكاية أحوال الفريقين بالانتقال إلى توبيخ أحد الفريقين وهو الفريق الأشقى فالخطاب موجه إليهم على طريقة الالتفات لتحديد نشاط السامع لكي لا تنقضي السورة كلها في الإخبار عنهم بطريق الغيبة.

ويجوز أن يكون الإضراب إبطالاً لما تضمنه قوله " قد أفلح من تزكى " من التعريض للذين شقوا بتحريضهم على طلب الفلاح لأنفسهم ليلتحقوا بالذين يخشون ويتزكون ليبطل أن

---

[136] ابن مجاهد،السبعة في القراءات، ص680، ابن الباذش، الاقناع في القراءات السبعة، ج2، ص808، وانظر الالوسي في ذكره لغرض الالتفات فيها، ج30، ص109، النشار، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج2، ص422

[137] أبو السعود، ابن محمد العمادي (ت982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقييق عبد القادر أحمد عطا،مكتبة الرياض،الرياض،ج5، ص516، وانظر ألأوسي، شهاب الدين محمود البغدادي (ت1270هـ)، تفسير جزء عم،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص110.

[138] - انظر أبو السعود، ارشاد العقل السليم،ج5 , ص520 , والألوسي، تفسير جزء عم، ص111.

[139] - أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج5، ص521، والألوسي، تفسير جزء عم، ص111.

[140] - ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص289.

يكون مظنة تحصيل الفلاح. والمعنى أنهم بعداء عن أن يظن بهم التنافس في طلب الفلاح لأنهم يؤثرون الحياة الدنيا , فالمعنى بل أنتم تؤثرون منافع الدنيا على حظوظ الآخرة, وهذا كما يقول الناصح شخصاً يظن أنه لا ينتصح (لقد نصحتك وما أظنك تفعل) ويجيئ فيه الوجهان المتقدمان من الخطاب والغيبة على القراءتين)

وفي هذين الموضعين ظهر لنا غرض الالتفات في القرآءات وهو كونه أشدُّ في التوبيخ على النفس , وجاء هذا الغرض جلياً في موضوع إيثار الدنيا على الآخرة لينبه سبحانه على قبح هذا الفعل وخسران أهله بأنهم قد فوتوا على أنفسهم الخير الكثير الباقي المقيم لهم في الآخرة لو أنهم لم يؤثروا الدنيا ومتاعها على الآخرة ونعيمها.

2- **للاعتناء بالتحذير:** قال تعالى في سورة الإسراء: **"وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾"** قرأ العشرة عدا أبا عمرو (ألا تتخذوا) بتاء الخطاب[141].

في هذه الآية اختلف الموجهون للقراءات والمفسرون للقرون . هل هذا الموضع من الالتفات في القرآءات أم لا ؟.

الموجهون على ان هذا الموضع من مواضع الالتفات في القراءاات , أمَّا المفسرون فلم يعدوا قراءة التاء من الالتفات. توضيح ذلك فيما يلي:

من قال بأنها من الالتفات اعتبر لفظة "أن" في الآية هي الناصبة للفعل , فيكون المعنى: وجعلناه هدىً كراهة أن تتخذوا من دوني وكيلاً

ومن قال ذلك من الموجهين العالم الجليل أبو علي الفارسي , يقول [142]: (اختلفوا في الياء والتاء من قوله عز وجل "ألا تتخذوا من دوني وكيلاً"

فقرأ أبوعمرو وحده "ألا يتخذوا " بالياء وقرأ الباقون "ألا تتخذوا" بالتاء

فوجه من قرأ بالياء , أن المتقدم ذكرهم على لغة الغيبة فالمعنى هديناهم أن لا يتخذوا من دوني وكيلا ومن قرأ بالتاء فهو على الإنصراف إلى الخطاب بعد الغيبة مثل قوله: "الحمد لله " ثم قال: "إياك نعبد" {الفاتحة: 5} , والضمير في "تتخذوا" وإن كان على لغة الخطاب فإنما يعني

---

141 ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص377. الداني، التيسير في القراءات السبعة، ص95. ابن الجزري، تحبير التيسير في القراءات العشرة، ص435. النشار، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج2، ص30

142 أبو علي الفارسي، أبة علي الحسن عبد الغفار (377ت)، الحجة للقراء السبعة أئمة الامصار بالحجاز والعراق والشام الذي ذكرهم أبو بكر بن مجاهد، تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث،دمشق،(1407 – 1987م)،الطبعة الأولى، ج5 ,ص83. ابن خالوية، الحسين بن أحمد أبو عبد الله، الحجة في القراءات السبع، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت،1401، الطبعة الرابعة ص214.وانظر ابن زنجلة،عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة،حجة القراءات،حققه سعيد الافغاني،مؤسسة الرسالة،بيروت،(1402 – 1982م) الطبعة الثانية، ص396، ومكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع،ج2، ص42، قمحاوي، محمد الصادق، طلائع البشر في توجيه القراءات العشر،دار العقيدة، الاسكندرية،(1417 – 2006م) الطبعة الاولى، ص105.

به الغيب في المعنى , ومن زعم أن "أن لا يتخذوا من دوني " على إضمار القول , كأنه يراد به: قال: ألا تتخذوا , لم يكن قوله هذا متجهاً , وذلك أن القول لا يخلو من أن يقع بعد جملة تحكى , أو معنى جملة يعمل في لفظه القول , فالأول كقوله: قال زيد: عمرو منطلق , فموضع الجملة نصب بالقول , والأخر: يجوز أن يقول القائل: لا إله إلا الله , فتقول: قلت حقاً, أو يقول: الثلج حار , فتقول: قلت باطلاً , فهذا معنى ما قاله , وليس نفس المقول , وقوله "أن لا تتخذوا " خارج من هذين الوجهين , ألا ترى أن "ألا تتخذوا" ليس هو معنى القول , كما أن قولك حقاً , إذا سمعت كلمة الإخلاص: معنى القول , وليس قوله "أن لا تتخذوا "بجملة فيكون قولك: قال زيد: عمرو منطلق

ويجوز أن تكون أن بمعنى: أي التي بمعنى التفسير , وانصراف الكلام من الغيبة إلى الخطاب كما انصرف منها إلى الخطاب والأمر في قوله: "وانطلق الملأ منهم أن امشوا" , وكذلك انصراف من الغيبة إلى النهي في قوله: "أن لا تتخذوا , وكذلك قوله "أن اعبدوا الله ربي" في وقوع الأمر بعد الخطاب , ويجوز أن يضمر القول ويحمل "تتخذوا " على القول المضمر إذا جعلت "أن" زائدة , فيكون التقدير: وجعلناه هدىً لبني إسرائيل: فقلنا: لا تتخذوا من دوني زكيلاً فيجوز إذن في قوله "أن لا تتخذوا" ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون أن الناصبة للفعل , فيكون المعنى: وجعلناه هدىً كراهة أن تتخذوا من دوني وكيلاً , أو لأن لا تتخذوا من دوني وكيلاً

والآخر: أن تكون بمعنى "أي" لأنه بعد كلام تام , فيكون التقدير: أي لا تتخذوا.

والثالث: أن تكون "أن"زائدة وتضمر القول)

وهذا ماذهب إليه أبو البقاء العكبري (ت616هـ) في مؤلفه التبيان في إعراب القرآن , يقول [143]: (قوله تعالى "ألا تخذوا": يقرأ بالياء على الغيبة , والتقدير: جعلناه هدىً لئلا يتخذوا ؛أوآتينا موسى الكتاب لئلا يتخذوا.

ويقرأ بالتاء على الخطاب , وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها – أن "أن" بمعنى أي , وهي مفسرة لما تضمنه الكتاب من الأمر والنهي.

والثاني – أن "أن" زائدة ؛ أي قلنا لا تتخذوا.

---

[143] العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت606هـ)،التبيان في إعراب القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، الناشر عيسى البابي الحلبي وشركائه، مصر، ج1، ص811.

والثالث – أن "لا" زائدة , والتقدير: مخافة أن تتخذوا ؛ وقد رجع في هذا من الغيبة إى الخطاب ..) فعلى هذا الرأي أن "أن " ناصبة تكون القراءة بالياء مساوية لقراءة التاء بالمعنى وإنما الإختلاف بينهما يكمن في البيان وما ولدته قراءة التاء من الالتفات الذي أكسب المقام حلة البلاغة والفصاحة. والله تعالى أعلم

أما المفسرون فلم يعتبروا قراءة التاء من الالتفات وأكثرهم على أن "أن" هي المفسرة ومنهم من اعتبر قول الموجهين بأن "أن" ناصبة أو "لا "زائدة محل نظر , ومنهم من وافق الموجهين وهم قليل [144]

فمن الذين اعتبروا " أن " مفسرة على سبيل المثال لا الحصر الزمخشري وأبو السعود العمادي فالأول قال فيها [145]: (قرئ بالياء على: " لئلا يتخذوا " , وبالتاء على: أي لا تتخذوا ؛ كقولك: كتبت إليه أن افعل كذا...). وأما الثاني وهو أبو السعود قال [146]: ("أن لا تتخذوا" أي لا تتخذوا نحو كتبت إليه أن افعل كذا وقرئ بالياء على أن مصدرية والمعنى آتينا موسى الكتاب لهداية بني إسرائيل لئلا يتخذوا....)

ومن الذين ردوا كون قراءة التاء من الالتفات واعتبروها محل نظر الألوسي [147]: ("ألا تتخذوا" أي أي لا تتخذوا على أن أن تفسيرية ولا ناهية , والتفسير كما قال أبو البقاء لما تضمنه الكتاب من الأمر والنهي ؛ وقيل لمحذوف أي آتينا موسى كتابة شيء وهو لا تتخذوا , والكتاب وإن كان المراد به التوراة فهو مصدر في الأصل , ولا يخفى أنه خلاف الظاهر

وجوز في البحر أن تكون أن مصدرية والجار بعدها محذوف ولا ناهية أي أي لئلا تتخذوا , وقيل يجوز أن تكون أن وما بعدها في موضع البدل من "الكتاب" وجوز أبو البقاء أن تكون زائدة "لا تتخذوا" معمول لقول محذوف و"لا" فيه للنهي أي قلنا لا تتخذوا.وتعقبه أبو حيان بأن هذا الموضع ليس من مواضع زيادة أن.

وكذا جوز أن تكون "لا" زائدة كما في قوله تعالى: "ما منعك أن لا تسجد" والتقدير كراهة أن تتخذوا ولا يخفى ما فيه.....) ثم يتابع ويقول في سبب رده للإلتفات فيقول: (وقرأ أبو عمرو من السبعة أن لا تتخذوا بياء الغيبة وجعل غير واحد أن على ذلك مصدرية ولم يذكروا فيها

---

144 أبو حيان، البحر المحيط،ج،6،ص7،وانظر السمين الحلبي، الدر المصون،ج7، ص309.

145 الزمخشري , تفسير الكشاف،ج2، ص494.

146 أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج3، ص424.وانظر الشوكاني، الفتح القدير، ص810.ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص25.

147 الألوسي، روح المعاني، ج15، ص14.وانظر شيخ زاده، محمد بن مصلح الدين مصطفى، حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، تحقيق محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت , 141، هـ - 1999م , ط1، ج5، ص351.

احتمال كونها مفسرة , وقال شيخ زاده: لا وجه لأن تكون أن مفسرة على القراءة بياء الغيبة لأن ما في حيز المفسرة مقول من حيث المعنى والذي يلقى إليه القول لا بد أن يكون مخاطباً كما لا وجه لكونها مصدرية على قراءة الخطاب لأن بني إسرائيل غيب فتأمل. والجار عندهم على كونها مصدرية محذوف أي لأن لا يتخذوا....) فحجة الألوسي على عدم الالتفات أن بني إسرائيل غائبون , فكيف يخاطب من ليسوا حاضرين ؟ أجاب عنه الفارسي عندما قال:

(والضمير في "تتخذوا" وإن كان على لغة الخطاب فإنما يعني به الغيب في المعنى) وأقول: إنما جاء على الخطاب بياناً وبلاغة باستخدام الالتفات في النهي والتخذير من الإشراك , فهو التخذير الأهم في الكتاب الذي لا يغفر لمرتكبه ذنبه , وتعريضاً بالحاضرين فالكتب السماوية كلها رسالتها واحدة الإيمان بالله وعدمم الإشراك به.

وقوله أيضاً في سورة الإسراء: **"وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّـهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾** قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر (فلا تسرف) بتاء الخطاب[148].

ورد في هذه السورة الكريمة خمسة عشرة وصية من وصايا التشريع الإسلامي , وهي تظهر فضائل من هذا التشريع وحكمته , وما علمه الله للمسلمين من آداب المعاملة نحو ربهم سبحانه , ومعاملة بعضهم مع بعض , والحكمة في سيرتهم وأقوالهم , ومراقبة الله في ظاهرهم وباطنهم. عن ابن عباس أنه قال: التوراة كلها في خمس عشرة آية من سورة بني إسرائيل. وفي رواية عنه: ثمان عشرة آية منها كانت في ألواح موسى , أي من قوله تعالى "ولا تجعل مع الله إله آخر فتقعد مذموماً مخذولاً " إلى قوله " ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مخذولاً ""[149].وهي أحكام عظيمة لإصلاح جامعتهم وبناء أركانها ليزدادوا يقيناً بارتقائهم على أهل الشرك وبانحطاط هؤلاء عنهم: وفي جميعها تعريض بالمشركين الذين كانوا منغمسين بالمنهيات.

وهذه الآيات أول تفصيل لشريعة المسلمين وقع بمكة [150]. يقول ابن عشور[151]: (وأحسب أن هذه الأيات اشتهرت بين الناس في مكة وتناقلها العرب في الآفاق , فلذلك ألم الأعشى ببعضها في

---

[148] الداني، التيسير في القراءات السبع، ص96. ابن الباذش، الإقناع في القراءات السبعة، ج2، ص686. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص307. النشار، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج2، ص330

[149] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15،ص8.

[150] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص61.

[151] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص66

قصيدته المروية التي أعدها لمدح النبي – صلى الله عليه وسلم – حين جاء يريد الإيمان فصدته قريش عن ذلك , وهي القصيدة الدالية التي يقول فيها:

أجِدِّك لم تسمع وصاة محمد

نبئ الإله حين أوصى وأشهدا

فإنك والميتاتِ لا تأكلنها

ولا تأخذنْ سهماً حديداً لتفصدا

وذا النصبُ المنصوب لا تنسكنه

ولا تَعبد الشيطانَ والله فعبدا

وذا الرحم القربى فلا تقطعنه

لفاقته ولا الأسير المقيدا

ولا تسخرن من بائس ذي ضرارة

ولا تَحسبن المال للمرء مخلدا

ولا تقربنَّ جارةً إن سرها

عليك حَرام فانكِحَنَّ أو تأبَّدا [152])

أما عن الموضع الذي نحن بصدده وبحث الغرض من الالتفات فيه عند من قرأ بالتاء , قد يكون ذلك لمناسبة مقام الوصية الذي أبلغ فيه مجيئه على الخطاب والمواجهة اعتناءاً بالتحذير وتهدأة لنفس الولي عند استحضار أن الله يخاطبه لئلا يقع بالمحظور , كما هي عادة الموصي. فكل الوصايا في هذه الآيات جاءت بأسلوب المواجهة , قال تعالى: " ألَّا تعبدوا إلا الله "وقوله " فلا تقل لهما أف " , " وءات ذا القربى حقه " , " ولا تبذر " , " ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها " , " ولا تقتلوا أولادكم " ومثلها " فلا تسرف ".

ولأن العرب كانت من عوائدها في الجاهلية أن تظلم الظالم بأن تقتل بالواحد الإثنين والمجموعة فقد خص سبحانه هذه الحالة بالذكر , يقول ابن عاشور[153]: (وحين كان المسلمين وقت نزول هذه الآية مختلطين في مكة بالمشركين ولم يكن المشركون أهلاً للثقة بهم في الطاعة للشرائع العادلة , وكان قد يعرض أن يعتدي أحد المشركين على أحد المسلمين بالقتل ظلماً أمر الله المسلمين بأن المظلوم لا يظلِم , فقال " ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً "......وهذه حالة خصها الله

---

[152] التأبد: التعزب، انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص66.

[153] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص93.

بالذكر لكثرة وقوع العدوان في بقية أيام الجاهلية فأمر الله المسلمين بقبول القود[154] وهذا مبدأ صلاح عظيم في المجتمع الإسلامي , وهو حمل أهله على اتباع الحق والعدل حتى لا يكون الفساد من طرفين فيتفاقم أمره , وتلك عادة جاهلية....فنهى الله المسلمين عن أن يكونوا مثالاً سيئا يقابلوا الظلم بالظلم كعادة الجاهلية.....ولذلك قال " فلا يسرف في القتل ".....وضمير" يسرف " بياء الغيبة في قراءة الجمهور , يعود إلى الولي مظنة السرف في القتل بحسب ما تعودوه.وقرأ حمزة , والكسائي , وخلف – بتاءالخطاب – أي خطاب للولي). وعلى قول ابن عاشور بعود الضمير في " يسرف " –بالياء والتاء -على الولي التفاتا وهذا ما ذهب إليه الألوسي من قبله , بقول: (وقرأ حمزة والكسائي "فلا تسرف " الخطاب للولي التفاتاً). وقد ألمح ابن عاشور في كلامه السابق في تفسير الآية أن الوصايا كانت بمكة عند بدء الدعوة الإسلامية لذا فقد جاءت تتعرض للمشركين وأفعالهم -التي قد تعود عليها المجتمع واستفحلت فيه – فجاءت الآية بقراءتين الأولى تتعرض للقتل أيام الجاهلية والظلم التي كان يحصل فيها وهي بقراءة الياء , وعلى قراءة التاء تحذيرا للولي واعتناءً به. وهذا ما ذهب إليه جماعة الموجهين للقراءات , يقول ابن خالويه [155]: ("فلا يسرف في القتل " يقرأ بالياء والتاء , فمن قرأه بالياء رده على الولي لأنه غير مقصود بمواجهة الخطاب والحجة لمن قرأه بالتاء , فالمعنى للولي , والخطاب له وللحاضرين , أي: فلا تسرف يا ولي ولا أنتم يامن حضر. ودليله قراءة أبي " فلا تسرفوا في القتل "). فقوله: (غير مقصود بالمواجهة) يعني أنه تعرض لحالة الظلم التي هي في المجتمع الجاهلي مظنة حصوله لما تعودوا عليه وأبان عن ذلك الفارسي في الحجة للقراء السبعة يقول [156]: (يجوز أن يكون في يسرف ضميُر الولي فلا يسرف الولي في القتل ؛ وإسرافه فيه أن يقتل غير من قتل , أو يقتل أكثر من قاتل وليه , وكان مشركو العرب يفعلون ذلك...) وفي قراة التاء يقول: (أن يكون الخطاب للولي فيكون التقدير , لا تسرف في القتل أيها الولي فتعدَّى قاتلَ وليك , إلى من لم يقتله) وهذا ما قاله ابن عاشور وذكرناه سابقاً ونعيده لزيادة المقال بياناًَيقول ابن عاشور: (وضمير " يسرف " بياء الغيبة , في قراءة الجمهور , يعود إلى الولي مظنة السرف في القتل بحسب ما تعودوه. وقرأ حمزة والكسائي , وخلف – بتاء الخطاب – أي خطاب للولي.

---

[154] القود: القصاص،انظر الرازي، مختار الصحاح، ص232.

[155] ابن خالويه،الحجة في القراءات السبعة، ص217.

[156] أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ص98.والنظر أبو زرعة، حجة القراءات، ص402، ومكي بن أبو طالب , أبو محمد القيسي (ت437 هـ)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، 1404 هـ - 1984 م، ط3، ج2، ص46.ابن أبي مريم، الموضح في وجوه القراءات وعللها، ص756.. ومحمد الصادق قمحاوي، طلائع البشر في توجيه القراءات العشر، ص107.

2. **كونه أبلغ في التهديد والوعيد:** قال تعالى في سورة النمل: **"أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّـهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾"** قرأ حفص والكسائي (تخفون، تعلنون) بتاء الخطاب[157]. المقام مقام بيان لكبريائه سبحانه وإظهار عظمته على جميع مخلوقاته. فبعدما عمد الهدهد بإخبار نبيء الله سليمان بما علم وقوله " أحطت بما لم تحط به " وأخبره بما وجد من حالهم الدنيوية بأن امرأة تملك الشيء الكثير من الأرزاق ولها عرش عظيم , وحالهم الدينية بأنها وقومها يعبدون الشمس ويتركون السجود لله أخبر سبحانه بأنهم قد صدوا بتزيين الشيطان لهم أعمالهم , يقول ابن عاشور[158]: (قوله تعالى: "وزين لهم الشيطان أعمالهم...." الأظهر أنه كلام آخر من القرآن ذُيِّل به الكلام الملقَى إلى سليمان , فالواو للاعتراض بين الكلام الملقَى لسليمان وبين جواب سليمان والمقصود التعريض بالمشركين) وهذا التزيين جعلهم يعتقدون أنهم هم المالكون العالمون وأنهم قد صنعوا هذا بجهدهم فعقب سبحانه معرضا بهم ومبيناً للهدهد بما يناسب حاله من معرفته بالماء المخبوء تحت الأرض فقال: "" الذي يخرج الخبء في السموات والأرض " فالله عالم بالمخبوء في العالم الكبير كله , ثم بين سبحانه للهدهد قضية سجودهم للشمس بأنه سبجازيهم فهو عالم بالعالم الإنساني " ويعلم ما تخفون وما تعلنون " مواجهاً لهم.بكبريائه وعظمته تهديداً وتخويفاً. فعلى قضية الدين والعبادة التي لاتدرك إلا بمعرفة المخفي واجه سبحانه المشركين بالخطاب , يقول أبو السعود [159]: (قوله تعالى: " الذي يخرج الخبء في السموات والأرض " أي يظهر ما هو مخبوء ومخفي كائناً ما كان وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده سبحانه باستحقاق السجود له من بين سائر أوصافه الموجبة لذلك لما أن الهدهد أرسخ في معرفته والإحاطة بأحكامه بمشاهدة آثاره التي من جملتها ما أودعه الله تعالى في نفسه من مقدرة على معرفة الماء تحت الأرض وأشار بعطف قوله "ويعلم ما تخفون وما تعلنون " على يخرج إلى أنه تعالى يخرج ما في العالم الإنساني من الخفايا كما يخرج ما في العالم الكبير من الخبايا لما أن المراد يظهر ما تخفونه من الأحوال فيجازيكم بها وذكر ما تعلنون لتوسيع دائرة العلم والتنبيه على تساويهما بالنسبة إلى العلم الالهي وقرئ ما يخفون وما يعلنون على صيغة الغيبة بلا التفات).

---

[157] ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص 479. الداني، التيسير في القراءات السبع، ص110. ابن الباذش، الإقناع في القراءات السبع، ج2، ص720.

[158] ابن عاشور,، التحرير والتنوير،ج19، ص254.

[159] أبو السعود , إرشاد العقل السليم , ج4 , ص256.

فبيان الهدهد لسليمان اشتمل على ثلاثة أمور

- أن هناك امرأة تملك كل شيء فهي ملكة على سبأ * لها عرش عظيم
- وعبادتهم للشمس من دون الله

والبيان الذي قدمه سبحانه للهدهد صدَّره بما يناسب حال الهدهد ومن ثم تبعه ببيان القضية الدينية وبعد ذلك بالعرش معرضاً بعرش بلقيس ووصف الهدهد له بأنه عظيم. فهو " الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم "[160]. والله تعالى أعلم.

وفي قراءة الكسائي بيان آخر:

الكسائي قرأ مثل حفص بالتاء , ولكنه قرأ " ألَّا يسجدوا " بالتخفيف " ألا يسجدوا ".على قراءة حفص يبقى أسلوب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب بتقدير لام الجر في " ألَّا " فيصبح " لئلا "والتقدير: وزين لهم الشيطان......لئلا يسجدوا , أما على قراءة الكسائي فليس فيها التفات لأن " ألا " بالتخفيف بمعى النداء , والتقدير: ألا ياقوم اسجدوا لله , وتكون جملة: " ويعلم ما تخفون وما تعلنون " تكملة للخطاب [161].

قوله تعالى في سورة الروم: **"اللَّـهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾"** قرأ القراء العشرة عدا أبا عمرو وشعبة وروح (ترجعون) بتاء الخطاب[162].

المقام مقام تعجيب من حال المشركين على عدم اتعاطهم بالآيات - التي من حولهم من خلق السماوات والأرض وما بينهما الدالة على إعادة الخلق مرة أخرى قوله تعالى[163] " لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " , والآيات التي خلَّفها الأقوامُ والأممُ من قبلهم الدالة على عاقبة المكذبين للرسل - والتي سيقت أصلاً لإحقاق أن الله سبحانه هو وحده من له حق التصرف بالناس من حين إيجادهم إلى إعدامهم , وذلك تعريضاً بالمشركين الذين ابتهجوا حين غلبت الفرس الروم فنزلت بداية السورة تبين أن الأمر لله من قبل ومن بعد , يقول ابن عاشور [164]: (" الله يبدؤ الخلق ثم يعيده " استئناف ابتدائي وهو شروع فيما أقيمت عليه هذه السورة من بسط دلائل انفراد الله تعالى بالتصرف في الناس بإيجادهم وإعدامهم وبإمدادهم وأطوار حياتهم ,

---

[160]،ج 4 , ص450.أبو حيان، البحر المحيط، ج7، ص68.،الألوسي، روح المعاني، ج19، ص193.وابن عاشور، الت الزمخشري،جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت538)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مذيل بحاشية الإمام أحمد بن المنير،دار الكتاب العربي، بيروت،1407حرير والتنوير،ج19، ص256.

[161] الزمخشري , تفسير الكشاف , ج4 , ص448. أبو حيان , البحر المحيط , ج7 , ص65.

[162] ابن الباذش، الإقناع في القراءات السبع، ج2، ص729. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص344. النشار، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج2، ص183

[163] سورة غافر، الآية 57.

[164] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،ج21، ص60.

لإبطال أن يكون لشركائهم شيء من التصرف في ذلك. فهي دلائل ساطعة على ثبوت الوحدانية التي عمُوا عنها........وقد فُصِّلت هذه الدلائل على أربعة استئنافاً منماثلة الأسلوب , ابتُدِئ كل واحد منها باسم الجلالة مجرى عليه أخبار عن حقائق لا قبل لهم بدحضها لأنهم لا يسعهم إلا الإقرار ببعضها أو العجز عن نقض دليلها...) وهذا الاستئناف هو الأول أما الثلاثة الأخرى فهي [165]: " الله الذي خلقكم ثم رزقكم "، " الله الذي يرسل الرياح "، " الله الذي خلقكم من ضعف ". وكل واحد منها أجري عليه أدلة قاطعة. وهنا حسن موقع الإستئناف ووروده بعد ذكر أمم غابرة وأمم حاضرة خلف بعضها بعضاً , وإذ كان ذلك مثالاً لإعادة الأشخاص بعد فنائها وذكر عاقبة مصير المكذبين للرسل في العاجلة ناسب في مقام الاعتبار أن يقام لهم الاستدلال على إمكان البعث ليقع ذكر ما يعقبه من الجزاء موقع الإقناع لهم [166]. والالتفات الحاصل في مقام التعجيب لعدم الاتعاظ بما هو مسلم عندهم زيادة في الإقناع وإيقامة االحجة ومبالغة في الترهيب والوعيد لهم ولقصد تعظيم شأن الإرجاع إذ المآل والمرجع هو المقصود من الإعادة وبدء الخلق، يقول الألوسي [167]: ("ثم إليه ترجعون " للجزاء , وتقدم المعمول للتخصيص، وكان الظاهر يرجعون بياء الغيبة إلا أنه عدل عنه إلى خطاب المشركين لمكافحتهم بالوعيد ومواجهتهم بالتهديد وإيهام أن ذلك مخصوص بهم فهو التفات للمبالغة في الوعيد والترهيب وقرأ أبو عمرو وروح " يرجعون " بياء الغيبة كما هو الظاهر) وليزيد الإرجاع بياناً وتخويفاً أخذ سبحانه بوصفه وحال المجرمين فيه: "

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ "

قوله تعالى في سورة الشورى: **" وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾"** قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف العاشر ورويس بخلف عنه (تفعلون) بالخطاب[168].

المقام مقام تحريض على التوبة , فبعدما ذكر سبحانه وعيد الذين يحاجُّون في الله لتأييد باطلهم من قوله تعالى: " وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّـهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ

---

165 آية 40، 48، 54 على التوالي.

166 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج21، ص61.

167 الألوسي، روح المعاني، ج21، ص24،وانظر أبو السعود،إرشاد الغقل السليم،ج4،ص353. والشوكاني، الفتح القدير، ص1129، ابن عاشور، التحريرر والتنوير،ح21، ص61.

168 ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص579. ابن الباذش، الإقناع في القراءات السبع، ج2، ص758. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص367. النشار، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج2، ص375

غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ " .**ثم أتبع بوصف سوء حالهم يوم الجزاء بقوله " تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ۗ "وقوبل بوصف نعيم الذين آمنوا بقوله " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ۖ "** , وكان ذلك مظنة أن يكسر نفوس أهل العناد والضلالة بإعلامهم أن الله من شأنه قبول توبة من يتوب من عباده , وعفوه بذلك عما سلف من سيئاتهم[169] , يقول ابن عاشور[170]: (وهذا الإخبار تعريض بالتحريض على مبادرة التوبة ولذلك جئ فيه بالفعل المضارع الصالح للاستقبال. وهو أيضاً بشارة للمؤمنين بأنه قبل توبتهم مما كانوا فيه من الشرك والجاهلية فإن الذي من شأنه أن يقبل التوبة في المستقبل يكون قد قبل توبة التائبين من قبل...وكل ذلك جرْي على عادة القرآن في تعقيب الترغيب بالترهيب وعكسه. وهذا كله يتضمن وعداً للمؤمنين بقبول إيمانهم وللعصاة بقبول توبتهم). ويفطنًّا ابن عشور - بقوله: (وهو أيضاً بشارة للمؤمنين بأنه قبل توبتهم مما كانوا فيه من الشرك والجاهلية) – إلى مسألة مكية الإيات واحتياج تلك الحقبة إلى التحريض على التوبة وحرص الإسلام على الطف بالعباد حتى يتمسكوا بشرع الله , وهذا ظاهر لو أعدنا البصر كرة إلى الآية فالآية فيها أربع مبالغات [171]: بناء الجملة على الإسمية , وعلى الموصولية , وعلى المضارعية , وعلى تعدية فعل الصلة بعن [172]. وكذلك ذكر اسم " العباد " دون نحو: الناس أو التائبين أو غير ذلك إيماء إلى أن الله رفيق بعباده لمقام العبوية فإن الخالق والصانع يحب صلاح مصنوعه [173]

والالتفات إليهم هنا أبلغ في التحريض على التوبة إذ فيه ما فيه من الإقبال عليهم وإشعارهم بمراقبته وحبه لهم ولأن يكونوا صالحين , كما وفيه كذلك تأكيد لقَبول التوبة والعفو عما سلف لطفاً بالعباد وحثاً لهم لئلا يعودوا إلى اقتراف السيئات , يقول الألوسي [174]: (" وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾" عند حفص والأخوين وعلقمة وعبد الله وبياء الغيبة عند الجمهور وعلى الأول ففيه التفات وما موصولة والعائد محذوف أي يعلم الذي تفعلونه كائناً ما كان من خير وشر فيجازي بالثواب والعقاب أو يتجاوز سبحانه بالعفو حسبما تقتضيه مشيئته جل وعلا المبنية على الحكم والمصالح...) ويقول

---

[169] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج25، ص88.

[170] ابن عاشور، التحريروالتنوير،ج25، ص89.

[171] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج25، ص90.

[172] فعل (قبل) يتعدى بمن الإبتدائية تارة كما في قوله " وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ" وقوله: " فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا " فيفيد معنى الأخذ للشيء المقبول صادراً من المأخوذ منه ويعدَّ بعن فيفيد معنى مجاوزة الشيء المقبول أو انفصاله عن معطيه وباذله وهو أشد مبالغة في معنى الفعل من تعديته بحرف من لأن فيه كناية عن احتباس المبذول عند المبذول إليه بحيث لا يرد إلى باذله.وهذا نقلا عن ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج25 , ص89 ونجدها عند الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر،(ت794)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ج3، ص339،الألوسي،روح المعاني، ج25، ص36.

[173] ابن عاشور، التحرير والنوير، ج25، ص90.

[174] الألوسي، روح المعاني، ج25، ص36.

نقلاً عن: ("ويعلم " الخ تذييل للكلام السابق يؤكد ما ذكره من القبول والعفو لأنه تعالى إذا علم العملين والعاملين جازى كلاً بما فعل فأولى أن يجازي هؤلاء المحسنين بأفعالهم ثم فيه لطف وحث على لزوم الحذر منه تعالى والإخلاص له سبحانه في إمحاض التوبة) ويقول الألوسي بعد هذا النقل: (ونحن أيضاً لا ننكر أنه تذييل فيه تأكيد كما لا يخفى) . وهذا من جهة المؤمنين , أما الظالمون فالالتفات إليهم تأكيداً للوعيد وتحذيراً من الدوام على الكفر بعد فتح باب التوبة.والله تعالى أعلم بمراده

.وكذا موضعُ سورة الزخرف في قوله تعالى: **"وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾"** قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وأبو جعفر وروح (ترجعون) بتاء الخطاب[175].

جملة " وإليه ترجعون " وقعت هنا في مقام التنزيه لله سبحانه عن الشريك. ومقام التنزيه يستلزم التقبيح على من ادعى غير التنزيه. فقال سبحانه - في تنزيه نفسه عن اتخاذ الولد مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم لأن يحاججهم -: **" قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ "** وقل لهم في محاججتهم لنفي أن يكون لله شريك أصلا: **" وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَـٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ "** بدليل أنك لو سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله فأنت تكون قد أقررتهم على نفي البنوة لله , وهذا كأدعائهم أن الملائكة بنات الله مع أنهم يعتقدون أن البنات أحط قدراً من الذكور , وما بين هاتين الجملتين اعتراض من كلامه سبحانه - ينزه نفسه بأعظم ما أوجد:

" سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ "

ــ ويتوعد لهؤلاء يوم التلاقي:

" فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ "

, وألحق بجملة " وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو العليم الحكيم " - المسوقه لنفي الشريك مطلقاً - ماينزه نفسه أعظم من التنزيه الأول على نفي البنوة , وليكون بمثابة تنزيه نفسه سبحانه عن كل مزاعم المشركين التي وردت في السورة , فقال سبحانه وتعالى:

" وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ".

يقول ابن عاشور[176]: ("وتبارك...." عطف على" سبحان رب السملوات والأرض" فصد منه إتباع

---

[175] ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص588.وانظر أبو عمرو الداني، التيسير في القراءات السبع، ص126، وابن الجزري، تحبير التيسير في القراءات العشر، ص550.

إنشاء التنزيه بإنشاء الثناء والتمجيد) وليس هو رب السماوات والأرض فحسب بل مالك الملك أيضاً , يقول ابن عاشور[177]: (وقد ذكر مع التنزيه أنه رب السماوات والأرض لاقتضاء الربوبية التنزيه عن الولد المسوق الكلام لتفيه , وعن الشريك المشمول لقوله "عما يصفون" , وذكر مع التبريك والتعظيم أن له ملك السماوات والأرض لمناسبة الملك العظمة وفيض الخير). وبعد تبريك نفسه سبحانه والتعظيم والتمجيد زاد على المعاندين تقبيحاً لحالهم من العناد والضلال , والتفت إليهم " وعنده علم الساعة وإليه ترجعون " للمباشرة بالتهديد والتشديد به عليهم , يقول أبو السعود [178]: (" وإليه ترجعون " للجزاء والالتفات للتهديد وقرئ على الغيبة) وعند ابن عاشور[179]: (قرأ الجمهور " ترجعون " بالفوقية على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب للمباشرة بالتهديد. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالتحتية تبعاً لأسلوب الضمائر التي قبله.)

. وآخر موضع ورد فيه التفات قرآني من الغيبة إلى الخطاب وغرضه التشديد في الوعيد والتهديد كائن في سورة القمر, قال تعالى: **"سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾"** قرأ ابن عامر وحمزة (ستعلمون) بتاء الخطاب[180].

المقام مقام تذكير ووعظ. والمخاطبون هم مشركو مكة المكابرون على شركهم المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم (وإن يروا كل آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر.وكذبوا واتبعوا أهواءهم) فنعى عليهم عدم إزدجارهم بما جاءهم من الأنباء بتعداد بعض المهم من تلك الأنباء

ومن تلك الأنباء نبأ صالح عليه السلام وحكاية قومه وكيف كذبوه قال تعالى: " كذبت ثمود بالنذر () فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه......" وردت الآية الثانية على كلتا القراءتين رداً على قولهم السابق في صالح عليه السلام , وهي على قراءة الياء مجرد إخبار من الله سبحانه في ذلك , أما قراءة التاء فتحتمل أن تكون حكاية لما قاله صالح رداً عليهم ,كما تحتمل أن تكون من كلام الله تعالى لهم على سبيل الالتفات[181].

---

[176] ابن عاشور،التحرير والتنوير، ج25، ص268.
[177] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج25، ص269.
[178] أبو السعود،إرشاد العقل السليم،ج5، ص97، وانظر الألوسي، روح المعاني، ج25، ص107.
[179] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج25، ص270.
[180] التيسير في القراءات السبع، الداني، ص231. الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش، ج2، ص777
[181] الزمخشري، تفسير الكشاف، ج5، ص1660، وانظر الدكتور أحمد سعد محمد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، ص344.

والالتفات هنا يبين عنه الطيبي (ت743هـ) ويشرح تفاصيله يقول[182]: (أما في خطابه تعالى لرسولنا صلى الله عليه وسلم , وهو نذير ما حكاه سبحانه عن شعيب "فتول عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم بعد ما استوصلوا هلاكاً , وهو من بليغ الكلام , فيه دلالة على أنهم أحقاء بهذا الوعيد وكأنهم حضور في المجلس , حول عليهم الوجه لينعى عليهم جنايتهم , وإما في خطابه عز وجل لصالح عليه السلام , والمنزل حكاية هذا الكلام المشتمل على الالتفات.)

3. **للإيذان بالغضب:** قال تعالى في سورة العنكبوت: **" إِنَّ اللَّـهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾"** قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف العاشر (تدعون) بتاء الخطاب[183]،

المقام مقام ضرب المثل للذين كفروا , وحالهم وما حل بهم من ألوان العقوبة , ومصير أمثالهم من مشركي مكة , في اتخاذهم ما يحسبونه دافعاً عنهم وهو أضعف من أن يدفع عن نفسه , بحال العنكبوت تتخذ لنفسها بيتاً تحسب أنها تعتصم به من المعتدي عليها فإذا هو لا يصمد ولا يثبت لأضعف تحريك فيسقط ويتمزق.

ثم نفى سبحانه عنهم العلم بما تضمنه التمثيل من حقارة أصنامهم التي يعبدونها وقلة جدواها بقوله: " لو كانوا يعلمون " المفيد أنهم لا يعلمون , أعقبه بإعلامهم بعلمه بدقائق أحوال تلك الأصنام على اختلافها واختلاف معتقدات القبائل التي عبدتها , وأن من آثار علمه بها ضرب ذلك المثل لحال من عبدوها وحالها أيضاً دفعاً بهم إلى أن يتهموا عقولهم وأن عليهم النظر في حقائق الأشياء تعريضاً بقصور عقلهم كقوله تعالى: " والله يعلم وأنتم لا تعلمون " , فهذا توقيف لهم على تفريطهم في علم حقائق الأمور التي علمها الله وأبلغهم دلالتها النظرية , ونظائرها التاريخية , وقربها إليهم بالتمثيلات الحسية فعموا وصموا عن هذا وذاك. [184]

والالتفات إلى الخطاب مواجهة في تجهيلهم ليراجعوا أنفسهم ويغلطوا منهجهم في اﻻلنظر إلى الأشياء وخاصة معتقدهم الديني التي حقرها سبحانه بالتمثيل لها بأوهن البيوت هذا من جهتهم , أما من جهة الملتفت إليهم وهو الله عز وجل فهو التفات مؤذن بالغضب من غفلتهم ,

---

[182] نقله الألوسيي، تفسير روح المعاني، ج27، ص88.وانظر أبو السعود، ارشاد العقل السليم، ج5، ص238.

[183] ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص499. ابن الباذش، الإقناع في القراءات السبع، ج2، ص727. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص343. النشار، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج2، ص178

[184] ابن عاشور، التحرير والتنوير , ج21 , ص252 – 253.

يقول الألوسي: ("إن الله يعلم "وذلك على إضمار القول أي قل للكفرة أن الله..الخ، وقيل: لا حاجة للإضمار لجواز أن تكون (تدعون) من باب الالتفات للإيذان بالغضب)[185].

5- إضعافاً للمشركين وإظهاراً لعجزهم:

ومنه أية سورة غافر الكريمة , قال تعالى: **"وَاللَّـهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ۗ إِنَّ اللَّـهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾"** قرأ نافع وهشام عن ابن عامر (تدعون) بتاء الخطاب[186].

المقام مقام تهكم بالمشركين - الذين يعبدون أصناماً لا تسمع ولا تبصر ولا تسمن عبادتها ولا تغني من جوع - لأن ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه: يقضي أو لا يقضي[187] , فالسياق يبين عن عجز الذين يدعونهم وأنهم غير أهل للإلهية , يقول ابن عاشور[188]: (كان مقتضى الظاهر أن يؤتى بجملة " يقضي بالخق " معطوفة بالواو على جملة "يعلم خائنة الأعين "فيقال , ويقضي بالحق ولكن عدل عن ذلك لما في الاسم العلم لله تعالى من الإشعار بما يقتضيه المسمى به من صفات الكمال التي منها العدل في القضاء.....والجملة من تمام الغرض الذي سيقت إليه جملة " يعلم خائنة الأعين " وكلتاهما ناظرة إلى قوله " ما للظالمين من حميم ولا شفيع " أي أن ذلك من القضاء بالحق. وأما جملة " والذين تدعون من دونه لا يقضون بشيء فناظرة إلى جملة " ما للظالمين من حميم ولا شفيع " فبعد أن نُفي عن أصنامهم الشفاعة , نفي عنهم القضاء بشيء ما بالحق أو بالباطل وذلك إظهار لعجزها. ولا تحسبن جملة "والذين تدعون من دونه لا يقضون بشيء " مسوقة ضميمة إلى جملة " "والله يقضي بالحق ليفيد مجموع الجملتين قصر القضاء بالحق على الله تعالى قصر قلب , أي دون الأصنام , كما أفيد القصر من ضم الجملتين في قول السموأل عبد الملك الحارثي:

تسيل على حد الظّبات نفوسنا

وليست على غير الظُّبات تسيل

---

[185] روح المعاني، الألوسي، ج20، ص161

[186]ابن الباذش، الإقناع في القراءات السبع، ج2، ص753. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص364

[187] الزمخشري، تفسير الكشاف، ج5، ص339، وانظر أبو حيان، البحر المحيط، ج7 ،ص439.أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج5، ص13، والألوسي، روح المعاني، ج24، ص60.

[188] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص117.

لأن المنفي عن آلهتهم أعم من المثبت لله تعالى , وليس مثل ذلك مما يضاد صيغة القصر لكفى في إفادته تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي بحمله على إرادة الاختصاص في قوله: " والله يقضي بالحق ". فالمراد من قوله " والذين تدعون من دونه لا يقضون بشيء التذكير بعجز الذين يدعونهم وأنهم غير أهل للإلهية وهذه طريقة لإثبات صفة لموصوف ثم تعقيب ذلك بإظهار نقيضه فيما يُعد
مساوياً له).

والالتفات إليهم بالمخاطبة ما هو إلا إضعاف لهم عند مواجهتهم بعجز آلهتهم والتهكم بها بوصفها أنها لاتقضي بأي شيء فضلاً عن أنها جماد لا تملك القدرة على أي شيء فالالتفات إلى الخطاب في هذا المقام مشعر بالخزي والضعف من جهتهم وبالقوة والقدرة من جهته سبحانه , يقول ابن عاشور[189]: (وقرأ نافع وهشام عن ابن عامر " تدعون " بتاء الخطاب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لقرع أسماع المشركين بذلك. وقرأ الجمهور بياء الغيبة على الظاهر). وفي الإية التالية لهذه الآية اختلف القراء ولابن عامر الالتفات كذلك قال تعالى **" أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّـهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّـهِ مِن وَاقٍ"** قرأ ابن عامر (منهم) بكاف الخطاب[190]. وهو في نفس غرض الالتفات في الآية السابقة إذ أن قوله "أولم يسيروا في الأرض " تقريراً لسير قريش ولنظرهم إلى آثار الأمم الذين أبادهم الله جزاء تكذيبهم رسلهم , فهم شاهدوا ذلك في رحلتهم رحلة الشتاء ورحلة الصيف وإنهم حدثوا بما شاهدوه من تضمهم نواديهم ومجالسهم فقد صار معلوماً للجميع [191].

وضمير الفصل للسابقين ومقابلته بضميرهم يدلل على تصغيرهم أمام هؤلاءفقد كانوا أشد منهم قوة وأثاراً في الأرض فالالتفات لمخاطبتهم تصغيراً لهم وحطاً من شأنهم.

4. **الإقبال والإيناس:** قال تعالى في سورة (ص): **"هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾"** قرأ القراء العشرة عدا ابن كثير وأبو عمرو (توعدون) بتاء الخطاب[192]

---

[189] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص118.
[190] ابن الباذش، الإقناع في القراءات السبع، ج2، ص753. النشار، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج2، ص261.
[191] ابن عاشور،التحرير والتنوير،ج24، ص119.
[192] الداني، التيسير في القراءات السبع، ص122. ابن الباذش، الإقناع في القراءات السبع، ج2، ص748. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص364. النشار، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج2، ص246

السياق يتحدث عن الأنبياء وذكرهم الجميل في العاجلة " واذكر عبدنا داود ذا الأيدي إنه أواب " وقوله: " ووهبنا لداود سليمن نعم العبد إنه أواب " , " واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب " , "واذكر عبدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار " , " واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار " وما تبع ذلك من أنباء تخبر عن محاسنهم وشرفهم بين الناس فأراد سبحانه بيان أيلولة حالهم في الآخرة جزاءاً على حسنهم وشرفهم " هذا وإن للمتقين لحسن مئاب "وهذا كما قالوا المفسرين شروع في بيان أجرهم الجزيل قي الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل في العاجل[193] "جنات عدن مفتحة لهم الأبواب. متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثثيرة وشراب.وعندهم قاصرات الطرف أتراب " وعبر عن هذا الجزاء بالإخبار عنهم بالغيب وقبل أن ينتقل إلى ذكر مآل الكافرين أكد للمتقين جزاءهم وحقق لهم وقوعه "هذا ما توعدون ليومم الحساب " وكان أبلغ في مجيء الجملة على التأكيد والتحقيق حضوره سبحانه لمخاطبة المتقين تبشيراً لهم وتشريفا, يقول أبو السعود[194]: (" هذا ما توعدون ليوم الحساب " أي لأجله فإن الحساب علة الوصول إلى الجزاء وقرئ بالياء ليوافق ما قبله والالتفات أليق بمقام الامتنان والتكريم) , ولابن عاشور كلام دقيق في ذلك اصغي إليه ماذا يقول[195]: (" هذا ما توعدون ليوم الحساب " استئناف ابتدائي فيجوز أن يكون كلاماً قيل للمتقين وقت نزول الآية فهو مؤكد لمضمون جملة "وإن للمتقين لحسن مئاب " وجيء باسم الإشارة للقريب تنزيلاً للمشار إليه منزلة المشار إليه الحاضر إيماء إلى أنه محقق وقوعه تبشيراً للمتقين.

ويجوز أن يكون كلاماً يقال للمتتقين في الجنة فتكون الجملة مقول قول محذوف هو في محل حال ثانية من المتقين. والتقدير: مقولاً لهم: هذا ما توعدون ليوم الحساب. والقول: إما للملائكة مثل قوله تعالى "أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون " , وإما من جانب الله تعالى نظير قوله لضدهم "ونقول ذوقوا عذاب الحريق ". والإشارة إذن إلى ما هو مشاهد عندهم من النعيم. وقرأ الجمهور " توعدون " بتاء الخطاب فهو على الإحتمال الأول التفات من الغيبة إلى الخطاب لتشريف المتمقين بعز الحضور لخطاب الله تعالى , وعلى الإحتمال الثاني الخطاب لهم على ظاهره. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحده " يوعدون " بياء الغيبة فهو على الإحتمال الأول

[193] الزمخشري، تفسير اكشاف، ج5، 276، أبو حيان، البحر المحيط،ج7، ص386..أبو السعود، إرشاد العقل اسليم،ج 4، ص583، لألوسي، روح المعاني،ج23، ص214.

[194] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج4،ص584.. وانظر السمين الحلبي، الدر المصون،ج9، ص387.

[195] ابن عاشور، التحرر والتنوير، ج23، ص283.

التفات عن توجيه الخطاب إليهم إلى توجيهه للطاغين لزيادة التنكيل عليهم. والإشارة إلى المذكور من " حسن المئاب , وعلى الإحتمال الثاني كذلك وُجه الكلام إلى أهل المحشر لتنديم الطاغين وإدخال الحسرة والغم عليهم. والإشارة إلى النعيم المشاهد).

فإذن الالتفات إلى الخطاب كان للمتقين حين نزول الآية وهو من جهته سبحانه يريد تحقيق ذلك الوعد وتبشير المتقين ومن جهتهم تشريفاً لهم بعز الحضور لخطاب الله تعالى.

لتأكيد البعث وبعده الجزاء:

في آية سورة (ق) قوله تعالى: **" هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾"** قرأ القراء العشرة عدا ابن كثير (توعدون) بتاء الخطاب.

المقام مقام استدلال على البعث الذي أنكره الكفار. وليتم هذا الإستدلال لابد من التعرض لذكر المشاهد الحاضر أمامهم وللغائب الموعودون به. ومن المشاهد الحاضر لهم وذكره سبحانه في السورة: " **﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾**

, أما الغائب الموعود به: -**﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾** – جاء بصيغة الماضي للإشعار بقربه فكأنه صار بمنزلة ما حصل قصداً لإدخال الروع في نفوس المشركين كما استفيد من قوله "ذلك ماكنت منه تحيد" نظير قوله تعالى "قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم", وكذا قوله "ونفخ في الصور " فصيغ له المضي لتحقيق وقوعه [196]

والجزاء على الأعمال جاء به سبحانه بمؤكدات كثيرة وكون الحديث عن المتكرين بدأ بهم , فقال تعالى: **"﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ " ثم قال مؤكداً الجزاء ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّـهِ إِلَـٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ومؤكداً آخر وآخر قوله: ﴿**

---

[196] الزمخشري، تفسير الكشاف،ج5، ص598.. أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج5، ص188.الألوسي، روح المعاني، ج26، ص182،ابن عاشور، اتحرير واتنوير، ج26، ص305.

قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾

هذا عن الكفرة ووعيدهم أما عن المتقين المؤمنين بالبعث ووعدهم فقد جاء سبحانه بوعد المتقين معرضاً بهؤلاء المنكرين ومحرضاً إياهم على التوبة فقال سبحانه: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ فوصف الجنة بالقريبة ثم بالغير بعيدة تأكيداً للمتقين وبعده الالتفات إليهم قال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ جاء غرضه التأكيد أيضاً والله تعالى أعلم. وهذا غير الموضع السابق "هذا ما توعدون ليوم الحساب " الذي جاء في سورة ص في مقام التكريم واتشريف

5. **تعجيباً واستنكاراً:** قال سبحانه في سورة الجاثية الكريمة: **" تِلْكَ آيَاتُ اللَّـهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّـهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾"** قرأ ابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي ورويس وخلف العاشر (يؤمنون) بتاء الخطا

السياق يتحدث عن آيات الله الكونية والتي تدل على انفراده سبحانه بالإلهية قوله تعالى: ﴿**حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّـهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّـهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾** , وقوله تعالى: ﴿**تِلْكَ آيَاتُ اللَّـهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ** ﴾ , هي إشارة إلى ما ذكرمن الآيات "لآيات للمؤمنين " , "ءايات لقوم يؤمنون " , "ءايات لقوم يعقلون " والإستفهام بعده للإستنكار والتعجيب والتأييس من حالهم كونهم لا يؤمنون والالتفات في مقام التعجيب من حال الكفار تويخ وتقريع واستنكار.

6. **أبلغ في إعلامهم بالحقيقة:** قال تعالى في سورة المدثر: **"وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّـهُ ۚ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾"** قرأ نافع (وما يذكرون) بتاء الخطاب[197].

السياق يتحدث عن تكذيب المشركين بالقرآن وتفننهم في ذلك ﴿**بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾** طلبوا من انبي أن يكون لكل واحد منهم كتاباً من الله إلى فلان بن فلان فأبطل سبحانه أن يكون لهم ذلك بقوله "كلا بل لا يخافون الآخرة كلا إنه تذكرة " فهو تعليل لردعه عن سؤالهم أن تنزل عليهم صحف منشرة بأن هذا القرآن تذكرة عظيمة "فمن شاء ذكره" ثم نفى سبحانه أن يكون للمشركين ذكرى إلا أن يشاء االله "وما تذكرون إلا أن يشاء الله

---

[197] الداني، التيسير في القراءات السبع، ص134. ابن الباذش، الإقناع في القراءات السبع، ج2، ص797. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص393. النشار، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج2، ص398

" [198]إفساراً لمشيئتهم م وإلجاءاً لهم على الذكرى والمواجهة أبلغ في إعلامهم بالإقسار والإلجاء. يقول ابن عاشور [199]: ("وما تذكرون إلا أن يشاء الله " معترضة في آخر الكلام لإفادة تعلمهم بهذه الحقيقة

والمعنى: أن تذكر من شاءوا أن يتذكروا لا يقع إلا مشروطاً بمشيئة الله أن يتذكروا , وقد تكرر هذا في القرآن الكريم تكرراً ينبه على أنه حقيقة واقعة كقوله "وما تشاءون إلا أن يشاء الله " وقال هنا "كلا إنه تذكرة فمن شاء ذكره " فعلمنا أن للناس مشيئة هي مناط التكاليف الشريعية والجزاء في الدنيا والآخرة , وأن لله تعالى المشيئة العظمى التي لا يمانعها مانع ولا يقسرها قاسر , فإذا لم يتوجه تعلقها إلى إرادة أحد عباده لم يحصل له مراد

وهذه المشيئة هي المعبر عنها بالتوفيق إذا تعلقت بإقدار العبد على الداعية إلى الطاعة وامتثال الوصايا الربانية، وبالخِذلان إذا تعلقت بتركه في ضلاله الذي أوْبَقَتْهُ فيه آراؤه الضالة وشهواته الخبيثة الموبقة له في الإعراض عن شرائع الله ودعوة رسله، وإذا تعلقت بانتشال العبد من أوْحَال الضلال وبإنارة سبيل الخير لبصيرته سميت لُطفاً مثل تعلقها بإيمان عُمر بن الخطاب وصلاحه بعد أن كان في عناد، وهذا تأويل قوله تعالى: " فمن يُرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يُرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يَصَّعَّدُ في السماء {الأنعام: 125}

وقرأ نافع ويعقوب (وما تذكُرون) بمثناة فوقية على الالتفات، وقرأه الجمهور بتحتية على الغيبة، فالمعنى أنهم يغلب عليهم الاستمرار على عدم الذكرى بهذه التذكرة إلاّ أن يشاء الله التوفيق لهم ويلطف بهم فيخلق انقلاباً في سجيّة من يشاء توفيقه واللطفَ به. وقد شاء الله ذلك فيمن آمنوا قبل نزول هذه الآية ومَن آمنوا بعد نزولها.

فمفاد الكلام أن للمشركين مشيئة طويلة في عدم التذكر بالذكمرئ وعنادهم ووتشبثهم في ضلالهم وآرائهم فمتى شاءوا سبل الخير شاءه الله لهم وإلا كان لهم الحرمان من الرحمة والضلال في الأرض .

---

[198] الزمخشري، تفسير الكشاف،ج6،ص264. أ.بو السعود،إرشاد العقل السليم، ج5 ص427،الألوسي،تفسير روح المعاني،ج29، ص134.

[199] ـ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج29، ص331.

وكذا في قوله تعالى في سورة الإنسان: **" وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّـهُ ۚ إِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾** قرأ نافع وابن عامر بخلف عنه وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف العاشر (وما تشاؤون) بتاء الخطاب[200].

أغراض الالتفات في القراءات من الغيبة إلى الخطاب في القسم المدني:

1. **تشديد الوعيد:** قال تعالى في سورة البقرة آية 96: **"وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّـهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ"** قرأ يعقوب (تعملون) بالتاء[201].

المقام مقام إيقاع الحجة على بني إسرائيل , لإبطال ما ادعوه من سبب عدم إيمانهم بالرسالة المحمدية وهو أنهم يؤمنون بما أنزل إليهم وكان السبب الحقيقي حسداً من عند أنغسهم أن جاءهم رسول من غيرهم. فجاءت هاته المجادلات المصدرة بقل لإبطال مدونتهم وفضح مقصدهم , قال تعالى: **﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّـهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وقوله ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ , ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّـهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ , ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّـهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾.**

واالجدال الذي نحن بصدده قوله تعالى: **﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّـهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾** أبطل به ما تضمنه من أنهم شديدوا التمسك بما أنزل عليهم حريصون على العمل به متباعدون من البعد عنه لقصد النجاة في الآخرة [202]. فحاجهم بقوله : "ولن تمنوه أبداً بما " فعدم تمنيهم الموت ليس على الوجه المعتاد عند البشر من كراهة الموت ما دام المرء بعافية بل هم تجاوزوا ذلك إلى كونهم أحرص من سائر البشر على الحياة حتى المشركين الذين لا يرجون بعثاً ولا نشوراً ولا نعيماً فنعيمهم عندهم هو نعيم الدنيا وإلى أن تمنوا أن

---

[200] الداني، التيسير في القراءات السبع، ص137. ابن الباذش، الإقناع في القراءات السبع، ج2، ص800. النشار، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج2، ص402. اتحاف فضلاء البشر في القراءات العشر، ص 566

[3] الأصبهاني، المبسوط في القراءات العشر، ص133. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص393. النشار، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج1، ص159

[1] أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج1، ص132

[202] ابن عاشور،التحرير والتنوير، ج1،ص620.

يعمروا أقصى أمد التعمير مع ما يعتري صاحب هذا العمر من سوء الحالة ورذالة العيش [203].
فأخبر سبحانه بعلمه بنفاقهم وأنهم يبدون مالا يخفون , فهو البصير , وهذا الخبر يفيد التهديدوالتوبيخ لما يعملون , يقول أبو حين [204]: ("يعملون" بالياء على نسق الكلام السابق , وقرأ الحسن وقتادة والأعرج ويعقوب بالتاء على سبيل الالتفات والخروج من الغيبة إلى الخطاب , وهذه الجملة تتضمن التهديد والوعد , أتى هنا بصفة بصير , وإن كان الله تعالى متنزهاً عن الجارحة إعلاماً بأن علمه بجميع الأعمال علم إحاطة وإدراك للخفيات...). وعلق أبو السعود ففقال [205]: (البصير في كلام العرب العالم بكنه الشيء الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه أي عليم بخفيات أعمالهم
فهو مجازيهم بها لا محالة وقرأ بتاء الخطاب إلتفاتاً وفيه تشديد الوعيد) فاستعمال اسم الجلالة البصير في مقام ابداء مالا يخفى بلاغة في إيصال التهديد والوعيد والالتفات آكد في ذلك

وقوله تعالى في سورة آل عمران آية 180: **"وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّـهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّـهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّـهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"** قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف العاشر (تعملون) بتاء الخطاب[206]،
المقام مقام وعد للمؤمنين المحسنين ووعيد للكافرين المنافقين. المؤمنون بذلوا أرواحهم وأموالهم استجابة لله ورسوله يوم أحد , والمنافقون بخلوا بها , ومع ذلك كانت الهزيمة على ظاهرها للمؤمنين , والغلبة للكافرين , فحصل مقابلة الإعلام بخلاف الحسبان في حالتين: إحداهما تلوح للناظر حالة ضرّ , والأخرى تلوح حالة خير , فأعلم الله أن كلتا الحالتين على خلاف ما يتراءى الناظرين [207], قال تعالى: "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله اموات " , "ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير..." "ولا يحسبن الذين يبخلون...."

يقول ابن عاشور في سبب نزول الآية: ("ولا يحسبن الذين يبخلون" عطف على " ولا يحسبن الذين كفروا "، لأنّ الظاهر أنّ هذا أنزل في شأن أحوال المنافقين، فإنّهم كانوا يبخلون ويأمرون الناس بالبخل، كما حكى الله عنهم في سورة النساء (37) بقوله: (الذين يبخلون ويأمرون الناس

---

[203] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص617.
[204] أبو حيان،البحر المحيط،ج1، ص483.
[205] أبو السعود، إرشاد الغقل السليم، ج1، ص219، وانظر الألوسي، روح المعاني،ج1، ص331.وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص619.
[1] الزمخشري، الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، ج1، ص151. أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج2، ص120.
[207] ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج4، ص175.

بالبخل وكانوا يقولون: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتّى ينفضُّوا، وغير ذلك، ولا يجوز بحال أن يكون نازلاً في شأن بعض المسلمين لأنّ المسلمين يومئذ مبرّؤون من هذا الفعل ومن هذا الحسبان، ولذلك قال معظم المفسّرين: إنّ الآية نزلت في منع الزكاة، أي فيمن منعوا الزكاة، وهل يمنعها يومئذ إلاّ منافق. ولعلّ مناسبة ذكر نزول هذه الآية هنا أنّ بعضهم منع النفقة في سبيل الله في غزوة أُحُد. ومعنى حسبانه خيراً أنّهم حسبوا أن قد استبقوا مالهم وتنصّلوا عن دفعه بمعاذير قُبلت منهم.

والالتفات إلى الخطاب في هذا المقام تهديد ووعيد

يقول الزمخشري صاحب الكشاف [208]: (قُرئت (بماتعملون) بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات وهي أبلغ في الوعيد والياء على الظاهر)**[209]**. وذهب إلى ذلك الألوسي في روح المعاني فقال [210]: (والله بما بتعملون من المنع والبخل خبير فيجازيكم على ذلك وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والالتفات إلى الخطاب للمبالغة في الوعيد لأن تهديد العظيم بالمواجهة أشد وهي قراءة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وقرأ باباالياء على الغيبة)

2- التحريك للعمل بما عُلم من الحق: قال تعالى في سورة البقرة آية 144: **"قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّـهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ"** قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر وروح (تعملون) بالخطاب**[211]**،

السياق يتحدث عن مراوغة المشركون في أمر القبلة وتحويلها من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة. والترصد للمسلمين بإلقاء الشيهة في دينهم وتنكيسهم فيقولون مادام المسلمون على ملة إبراهيم فما الذي دعاهم إلى الخروج عنها **﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ ﴿١٣٠﴾ فأخبر سبحانه بأنه ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ ﴿١٤٢﴾ مع**

---

[208] الزمخشري، تفسير الكشاف،ج1، ص669.انظر أبو حيان،البحر المحيط،ج3، ص134. أبو السعود، إرشاد العقل السليم،ج1، ص312.

[210] - الألوسي، روح المعاني،ج4،ص140.

[211] الداني، التيسير في القراءات السبع، ص61. ابن الباذش، الإقناع في القراءات السبع، ج2، ص604. النشار، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج1، ص176.

علمهم في كتبهم ومن أنبيائهم أن أمر الوجهة إلى البيت المقدس ستتغير ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ ﴿١٤٤﴾

فتوعد لهم سبحانه على صنيعهم هذا من المكابرة والتنكيس على المسلمين بقوله ﴿ **وَمَا اللَّـهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾** وهذا الخبر كناية عن الوعيد بجزائهم عن سوء صنيعهم لأن فول القادر ما أنا بغافل عن المجرم تحقيق لعقابه إذ لا يحول بين القادر والجزاء إلا عدم العلم.[212] والالتفات إليهم لمواجهتهم بعدم الغفلة تخويفاً لهم وتحقيقاً للوعيد الشديد.

قال أبو حيان (قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء على الخطاب. فيحتمل أن يراد به المؤمنين لقوله "فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ"، ويحتمل أن يراد به أهل الكتاب فيكون من الالتفات ووجهه أن في خطابهم بأن الله لا يغفل عن أعمالهم، تحريكاً لهم بأن يعملوا بما علموا من الحق، لأن المواجهة بالشيء تقتضي شدة الإنكار وعظم الشيء الذي ينكر)[213]، بينما جعل الألوسي الخطاب للمؤمنين وعيداً لهم فقد أرجع الضمير في القراءة بالتاء إلى المسلمين، واعتبر جملة "وَمَا اللَّـهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ" تذييل إجمالي في الحالين بالقراءة بالتاء والياء إذ تجمل كل من القراءتين ما تريده القراءة الأخرى فالقراءتين متساويتين[214]. ومن الجدير ذكره قول ابن عاشور في التحرير والتنوير: (قرأه الجمهور بياء الغيبة والضمير للذين أوتوا الكتاب أي عن عملهم بغير ما علموا والمراد بما يعملون هذا العمل ونحوه من المكابرة والعناد والسفه. وهذا الخبر كناية عن الوعيد بجزائهم عن سوء صنيعهم) ويقول بعد ذلك: (ووعيدهم يستلزم في المقام الخطابي وعداً للمسلمين لدلالته على عظيم منزلتهم فإن الوعيد إنما مرتب على مخالفتهم للمؤمنين. وقرأه ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر وروح عن يعقوب بتاء الخطاب فهو كناية عن وعد للمسلمين على الامتثال لاستقبال الكعبة، ويستلزم وعيداً للكافرين على عكس ما تقتضيه القراءة السابقة؛ وعلى القراءتين فهو تذييل إجمالي)[215]. فأياً كان التقدير فكلاهما محركان للأتقياء والامتثال والعمل؛ فعلى تقدير الخطاب للمؤمنين فهو وعداً لهم يحرك المخالفين للامتثال بهم، وعلى تقدير الخطاب لأهل الكتاب فهو التفات عنيف قوي من الله عز وجل فهو يواجههم بالجزاء والوعيد مما يظهر شدة عضبه سبحانه من صنيعهم وبالتالي تحريكهم للعمل.

---

[212] ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج2، ص34.
[213] أبو حيان الأندلسي،البحر المحيط، ج1، ص604.
[214] الألوسي، روح المعاني، ج2، ص10
[215] ابن عاشور،التحرير والتنوير، ج2، ص33.

ومنه قوله تعالى من سورة النساء: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّـهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا** ﴿٧٧﴾. قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر , ويعقوب بخلف عن روح "ولا تظلمون" بتاء الخطاب [216].

المقام مقام ترغيب ووعد. هذه الآية جاءت في معرض الحث على الجهاد , وهي معترضة بين جملة: "وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله " والجمل التي بعدها وبين جملة "فليقاتل في سبيل الله "[217] ,وذلك لشأن التعجيب من حال هؤلاء الفؤيق من المؤمنين الذين طلبوا من النبي أن يأذن لهم بقتال المشركين في مكة , فأمهلهم زماناً , وعندما صاروا في المدينة أمرهم بالقتال فجبنوا.

فأخبر سبحانه بأن الإمنثال للأمر خير من القعود عنه وأن الدنيا حالها في زوال والأخرة خير لمن اتقى وحينها لا تنقصون من أجور أعمالكم ومشاق التكاليف أدنى شيء.وهو ترغيب مدعاة لتحريك للعمل ولتحقيق الوعد والمخاطبة أبلغ في ذلك [218]

3- التشديد في التوبيخ:

قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ **أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّـهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴿٨٣﴾.

قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف العاشر "تبغون" بتاء الخطاب [219].

المقام مقام توبيخ وإستنكار على من يطلب غير الإسلام ديناً.

فالسياق يتحدث عن أهل الكتاب وإيمانهم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم.يخبر سبحانه عن أخذه المبثاق من النبين على هذه الرسالة وإشهاد أممهم على ذلك. ثم التقبيح على من تولى, ووصفه أنه من الفاسقين فالفسق في هذه الحالة أشد فسقاً وغيره من الفسق كالعدم بالنسبة له [220].

---

[216] ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص234، وانظر أبو عمرو الداني، التيسير في القراءات السبع، ص72. ابن الجزري، تحبير التيسير في القراءات العشر، ص341.

[217] انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص127.

[218] أبو حيان، البحر المحيط،ج3، ص311.

[219] انظر ابن مجاهد،السبعة في القراءات، ص213، أبو عمرو الداني،التيسير في القراءات السبع، ص68،وابن الجزري، تحبير التيسير في القراءات العشر، ص325.

[220] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3،ص300.

والالتفات إليهم بالخطاب بعد وصفهم بالفسق و الهمزة الإنكارية بعده توبيخ واستنكار أشد , وليؤكد سبحانه ذلك الإنكار أخبر ب" **﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾** [221]

والمفسر ابن عاشور ألحق هذه الآية بصورة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة وغرضه الإعراض عن مخاطبتهم إلى مخاطبة المسلمين بالتعجيب من أهل الكتاب , وبهذا تكون قراءة التاء عائدة على خطاب أهل الكتاب في "ولا يأملركم أن تتخذوا الملائكة".[222]

ولكن التوبيخ والإستنكار أبلغ وأوقع في النفس عندما يكون بالمواجهة.ويدلل على شدة ما أُنكر , يقول أبو حيان[223]: ("تبغون" تطلبون وهو هنا بمعنى تدينون لأنهم متلبسون بدين غير دين الله لا طالبوه , وعبر بالطلب إشعاراً بأنهم في كل وقت باحثون عنه ومستخرجوه ومبتغوه) فهو متمكنن منهم لا ينفك عنهم.فالمخاطبة أبلغ في دفعهم إلى ناحية الصواب ودحض جحودهم ومكابرتهم

2- إقبال وإيناس واستعطاف: قال تعالى في سورة آل عمران: **"وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّـهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾"** قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وخلف عن الدوري وابن عامر وشعبة وأبو جعفر ويعقوب (وَمَا تفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن تكْفَرُوهُ) بتاء الخطاب[224].

السياق يتحدث عن أهل الكتاب وصلاح أمة منهم , يفعلون الخيرات من قيام الليل وتلاوة آيات الله وغيرها , فوعدهم سبحانه بقبول أفعالهم وعدم كفرانها , والالتفات أبلغ في الإعلام بقبول الفعل وعدم رده وفيه كذلك تحريض على فعل الخير والإكثار منه فالله سبحانه يقبل من الجميع مادام العمل صالح

قال ابو حيان: (والذي يظهر أنها التفات إلى قوله "أمة قائمة"، لما وصفهم بأوصاف جليلة أقبل عليهم تأنيساً لهم واستعطافا عليهم , فخاطبهم بأن ما تفعلون من الخير فلا تمنعون ثوابه , ولذلك اقتصر على قوله " من خير " لأنه موضع عطف عليهم وترحم ولم يتعرض لذكر الشر)[225]،

---

[221] إرشاد العقل السليم، ابو السعود، ج1،ص508، وانظر روح المعاني، الالوسي،ج3،ص213.

[222] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج3، ص301.

[223] أبو حيان الاندلسي،البحر المحيط، ج2، ص537.

[224] ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص214. الأصبهاني، المبسوط في القراءات العشر، ص168. الداني، التيسير في القراءات السبع، ص568. النشار، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ص244

[225] ابو حيان، البحر المحيط، ج3، ص40.

أما الألوسي فقال: (وفيه التفات ونكتته الخاصة هنا الإشارة إلى أنهم لاتصافهم بهذه المزايا أهل لأن يخاطبوا)[226].

2. **للاعتناء بالتحذير:** ويظهر هذا في قوله تعالى في سورة الحديد:**"أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّـهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴿١٦﴾"** قرأ رويس "ولا تكونوا" بتاء الخطاب[227]،

الآية الكريمة تحريضاً للمومنين على الدوام على مراقبة ما يخشع قلوبهم من ذكر الله ومانزل من الحق والتحذير من أن تصيب قلوبهم الملل من طول الأمد كما حصل مع بني إسرائيل. يقول أبو السعود [228]: ("ولا يكونوا" عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات للإعتناء بالتحذير وقيل هو نهي عن مماثلة بني إسرائيل بعد أن وبخوا وذلك أن بني إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم.....)

وقال الألوسي: (رواية "ولا تكونوا" بالتاء الفوقية على سبيل الالتفات للإعتناء بالتحذير والنهي مع الخطاب أظهر منه مع الغيبة)[229]. ولابن عاشور تفصيل آخر [230]: ("ولا يكونوا" قرأه الجمهور بياء الغائب. وقرأه رويس عن يعقوب "ولا تكونوا" بتاء الخطاب.

و "لا" نافية على قراءة الجمهور والفعل معمول ل "أنْ" المصدرية التي ذكرت قبله، والتقدير: ألم يأن لهم أن لا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب. وعلى قراءة رويس عن يعقوب فتاء الخطاب الالتفات و"لا" نافية، والفعل منصوب بالعطف كقراءة الجمهور، أو "لا" ناهية والفعل مجزوم والعطف من عطف الجُمل.

والمقصود التحذير لا أنهم تلبسوا بذلك ولم يأن لهم الاقلاع عنه. والتحذير مُنْصَبٌّ إلى ما حدث لأهل الكتاب من قسوة القلوب بعد طول الأمد عليهم في مزاولة دينهم، أي فليحذر الذين آمنوا من أن يكونوا مثلهم على حدثان عهدهم بالدين. وليس المقصود عذر الذين أوتوا الكتاب بطول الأمد عليهم لأن طول الأمد لا يكون سبباً في التفريط فيما طال فيه الأمدُ بل الأمر بالعكس ولا قصدُ تهوين

---

[226] لألوسي،روح المعاني، ج4، ص34.

[227] الأصبهاني، المبسوط في القراءات العشر، ص429. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص384. الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني،اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ويسمى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات،دار الكتب العلمية، بيروت، ت1419، ص 533.

[228] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج5، ص 277.

[229] الألوسي، روح المعاني، ج7، ص180.

[230] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص391.

حصوله للذين آمنوا بعد أن يطول الأمد لأن ذلك لا يتعلق به الغرض قبل طول الأمد، وإنما المقصود النهي عن التشبه بالذين أوتوا الكتاب في عدم خشوع قلوبهم ولكنه يفيد تحذير المؤمنين بعد أن يطول الزمان من أن يقعوا فيما وقع فيه أهل ِالكتاب. ويستتبع ذلك الأنباءَ بأن مدة المسلمين تطول قريباً أو أكثر من مدة أهل الكتاب الذين كانوا قبل البعثة، فإن القرآن موعظة للعصور والأجيال.

ويجوز أن تجعل "لا" حرف نهي وتعلق النهي بالغائب التفاتاً أو المراد: أَبْلِغْهم أن لا يكونوا).

فالتحذير من التشبه بأهل الكتاب هو المراد والالتفات أبلغ فيه لأنه لا ينبغي على المسلم أن يمل أو يطغى بسب طول الأمد.

نستنتج مما سبق الآتي:

- أن صورة الالتفات في القرآءات من الغيبة إلى الخطاب تستخدم للتوبيخ والتقريع والتهديد، فهي صورة قوية شديدة حاسمة للمواقف وقاطعة، لذا كان الأولى أن تستعمل في مواطن التخويف لا في مواطن الإيناس والتطمين وإن كانت قد وردت لهذا الغرض ولكن بشكل قليل جداً.
- وردت هذه الصورة في القرآءات في القسم المكي أكثر من ورودها في المدني، وذلك تابعاً لطبيعة المرحلة وما احتاج إليه المجتمع آنذاك من دحض للأفكار العقدية – النابعة من الديانات السابقة – التي كانت قد تعششت في عقولهم ودحض للعادات السيئة التي أوصلت المجتمع بدنوه إلى الحضيض، فجاء القرآن الحكيم بأساليبه الدعوية التي يفهمونها ومنها بلاغة الالتفات.
- أبانت عن ركني الدعوة إلى الله والترغيب والترهيب، فكانت هذه الصورة من الالتفات ترهيبية تخويفية، وهكذا يعلمنا الشارع الحكيم أساليب الدعوة إلى الله، وبهذا يكون القرآن منارة لكل زمان ومكان.

الحديث عن صورة الالتفات الترغيبية وسنرى أن القسم المكي فيها قد فاق المدني كذلك – والله تعالى أعلم وأقدر.

المبحث الثاني: أغراض الالتفات من الخطاب إلى الغيبة

هذه الصورة من الالتفات قليلة المواضع ويتجلى غرضها في تصغير المخاطب وتحقير عمله وكونه ليس أهلاً للمخاطبة.

وردت هذه الصورة القرائية في (القسم المكي)[231] كالآتي:

جاء الالتفات في القرآءات في هذه الصورة في القسم المكي لغرض واحد هو:

- ✓ **التصغير للمخاطب أو الحاضر وتحقير عمله:** وذلك في قوله تعالى في سورة النحل: **"وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾"** قرأ عاصم ويعقوب (يدعون) بياء الغيبة[232].

المقام مقام إستدلال , وذلك على وحدانية الله تعالى وشمول صفة الخلق له والعلم , ونفيها عمن سواه. فبعد أن أقيمت الدلائل على انفراد الله بالخلق ابتداء من قوله تعالى **﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾**

إلى ﴿ وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ , وبعد أن ثبتت المنة وحق الشكر فرع على ذلك قوله ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّـهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّـهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّـهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ فهي بمثابة النتيجة بعد الإستدلال[233].

فناسب هذه النتيجة بعد إقامت الإستدلال لهم الالتفات عنهم لإسقاطهم من درجة الإعتبار بأنهم يخلقوا شيئاً أويعلموا شيئاً أصلاً. يقول صاحب إتحاف فضلاء البشر [234]: (قرئ بالغيبة على الالتفات على الخطاب في قوله تعالى "والله يعلم ما تسرون وما تعلنون " إلى

---

[231] - انظر التفاسير: البحر المحيط , التحرير والنوير. وانظر الشايع ,محمد بن عبد الرحمن , المكي والمدني في القرآن الكريم , قسم القرآن الكريم وأصوله – كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض , 1418هـ - 1997 م , ط1 , ص71 -72.

[232] التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، ص95. الاقناع في القراءات السبع، ابن الباذش، ج2، ص681. تحبير التيسير في القراءات العشر، ابن الجزري، ص430.

[233] - ابن عاشو , التحرير والتنوير , ج14 , ص123.

[234] - محمد الصادق قمحاوي , إتحاف فضلاء البشر في القراءات العشر , ص103.

الغيبة لإسقاطهم عن درجة الاعتبار. وقرئ بالخطاب ووجهه مناسباً لما سبق في الخطاب السابق..)

ومنها أيضاً موضع آخر من سورة النحل قال تعالى: **"أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّـهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾"** قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي وأبو جعفر وخلف العاشر (**يروا**) بياء الغيبة[235]،

وهنا المقام كالسابق فسورة النحل سورة النعم وإقامة الإستلال من خلالها على وحدانيتة سبحانه. ليكون من ذلك التخلص إلى االدعوة إلى الإسلام وبيان أصول دعوة الإسلام في قوله تعالى **﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾**

وموقع هذه الجملة موقع التعليل والتدليل على عظيم قدرة الله وبديع صنعه وعلى لطفه بالمخلوقات , فإنه لما ذكر موهية العقل والحواس التي بها تحصل المنافع ودفع الأضرار بقوله ﴿ **وَاللَّـهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾**

نبه الناس إلى لطف يشاهدونه أجلى مشاهدة لأضعف الحيوان , بأن تسخير الجو للطير وخلقها صالحة لأن ترفرف فيه بدون تعليم هو لطف بها اقتضاه ضعف بنياتها , إذ كانت عادمة وسائل الدفاع عن حياتها. فجعل الله لها سرعة الانتقال مع الابتعاد عن تناول ما يعدو عليها من البشر [236].

وعند تذكيره سبحانه لهم بالنعم المادية التي أنعمها عليهم من خلق الحواس السمع والبصر والفؤاد خاطبهم , وعند إلقاء اللوم عليهم والإستنكار بعدم تعقلهم بأضعف ما يشاهدونه من خلق الطير جعلهم غيباً فيه دلالة على إعراضه عنهم وتوجهه للمؤمنين بدليل قوله "إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون "

ومنها قوله تعالى في سورة الأنبياء: **"قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا الرَّحْمَـٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾"** قرأ ابن ذكوان بخلف عنه (يصفون) بياء الغيبة[237].

المقام مقام ذم للمشركين على ما صدر منهم من أقوال في حق الرسول والرسالة , حيث أقيمت السورة على عماد إثبات الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديق دعوته.

---

[235] التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، ص95. تحبير التيسير في القراءات العشر، ابن الجزري، ص433.

[236] - ابن عاشور , التحرير والتنوير ج14 , ص284.

[237] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج2، ص325. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، النشار، ج2، ص88.

فافتتحت بإنذار المعاندين بإقتراب حسابهم ووشك حلول وعد الله فيهم وإثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه لم يكن بدعاً من الرسل[238]. واختتمت السورة بوصف جامع لبعثة محمد صلى الله عليه وسلم. ومزيتها على سائر الشرائع مزية تناسب عمومها ودوامها , وذلك كونها رحمة للعالمين " وما أرسلنك الا رحمة للعالمين[239] "

وقوله تعالى "وقال رب احكم بالحق " تلويح إلى عاقبة أمر هذا الدين المرجوة المستقبلية لتكون قصة هذا الدين مستوفاة المبدأ والعاقبة[240]. يقول ابن عاشور [241]:(وفي أمر الله نبيئه – عليه الصلاة والسلام – بالإلتجاء إليه والإستعانة به بعد ما قال له "فإن تولوا فقل اذانتكم على سواء رمز إلى أنهم متولون لا محالة وأن الله سيحكم فيهم بجزاء جرمهم لأن الحكم بالحق لا يغادرهم , وإن الله في إعانته لأن الله إذا لقن عباده دعاء فقد ضمن لهم إجابته كقوله تعالى "ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا " وقد صدق الله وعده واستجاب لعبده فحكم في هؤلاء المعاندين بالحق يوم بدر....)

فالالتفات عنهم لعدم الإباه بهم وبما يصفون من الأقوال المؤذية , فالله معين المؤمنين خاذل الكافرين.

يقول محمد الصادق قمحاوي عن الالتفات في القرآءات في الآية [242]: (قرئ: بالخطاب لمناسبة قوله "فقل آذنتكم على سواء " , وقرئ: بالغيبة على الالتفات عن الخطاب إلى الغيبة لإسقاطهم عن درجة الاعتبار).

ومنها قوله تعالى في سورة الحج: **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾"** قرأ يعقوب (يدعون) بالغيب**[243]**.

وفي موضع سورة القصص يظهر الغرض جلياً , قال تعالى: **"وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّـهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾"** قرأ أبو عمرو بخلف عن السوسي (أفلا يعقلون) بياء الغيبة**[244]**،

---

[238] - ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج17 , ص164 , 165.
[239] - ابن عاشور , التحرير والتنوير ج17 , ص165.
[240] ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج17 , ص176.
[241] - ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج17 , ص176.
[242242242] محمد الصادق قمحاوي , إتحاف فضلاء البشر في القراءات العشر , ص133.
[243] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج2، ص327. تحبير النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ص473.

المقام مقام تعجيب من هؤلاء الذين لا يتعقلون بما يذكرون به من النعم , يقول ابن عاشور[245]: (لما ذكرهم الله بنعمه عليهم تذكيراً أدمج في خلال الرد على قولهم "إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا" بقوله "تجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا" أعقبه بأن كل ما أتوه من نعمة هو من متاع الحياة الدنيا كالأمن والرزق , ومن زينتها كاللباس والأنعام والمال , وأما ما عند الله من نعيم الآخرة من ذلك وأبقى لئلا يحسبوا أن ما هم فيه من الأمن والرزق هي الغاية المطلوبة فلا يتطلبوا ما به تحصيل النعيم العظيم الأبدي , وتحصيله بالإيمان. ولا يجعلوا ذلك موازنا لاتباع الهدى وإن كان في اتباع الهدى تفويت ما هم فيه من أرضهم وخيراتها لو سلم ذلك. وهذا وجه مناسبة الآية لما قبلها....)

وهذا الخبر تفرع عنه إستفهام توبيخي وتقريري على عدم عقل المخاطبين لأنهم لما لم يستدلوا بعقولهم على طريق الخير نزلوا منزلة من أفسد عقله فسئلوا , أهم كذلك ؟ [246]

فالالتفات عنهم لبعدهم عن التذكرة والموعظة أي عن مقام الخطاب[247]. يقول الزمخشري[248]: (قرئ يغقلون بالياء , وهو أبلغ في الموعظة. وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن الله خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف: المؤمن , والمنافق , والكافر ؛ فالمؤمن يتزود , والمنافق يتزين , والكافر يتمتع..). ويقول الألوسي [249]: (وقرأ أبو عمرو يغقلون بياء الغيبة وقرأ أبو عمرو يعقلون بياء الغيبة على الالتفات وهو أبلغ في الموعظة لإشعاره بأنهم لعدم عقللهم لا يصلحون للخطاب...)

التلطف مع المعلم والتأدب: كما في قصة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح، قال تعالى: **"فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾"** قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر (ليَغرَق) بفتح الياء والراء مضارع غرق الثلاثي و (أهلُها) بالضم فاعل الفعل[250].

---

[244] السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ص495. التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، ص113. تحبير التيسير في القراءات العشر، ابن الجزري، ص499.

[245] ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج20 , ص153 , 154.

[246] - انظر أبو حيان , البحر المحيط , ج7 , ص122.وأبو السعود , إرشاد العقل السليم , ج4 , ص314..وانظر ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج20 , ص154.

[247] ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج20 , ص154.

[248] 1- الزمخشري , الكشاف , ج4 , ص516.

[249] الألوسي , روح المعاني , ج20 , ص99.

[250] التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، ص98. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج2، ص113.

سورة الكهف بطبيعتها قصص جاءت إجابة لأسئلة المشركين والذين أملوا عليهم من أهل الكتاب عن قصتين قصة أهل الكهف وقصة ذي القرنين.وهي قصص للموعظة وتربية النفس , وخاصة هذه القصة التي نحن بصدد معرفة غرض الالتفات فيها .

قدمت هذه القصة تمهيداً للإجابة عن سؤال المشركين عن ذي القرنين ,لما لها شبه بها من أنها تطواف في الأرض , ولكن هذه لطلب نفع صالح , وهي قصة سفر موسى عليه السلام لطلب لقاء من هو على علم لا يعلمه موسى. وفي سوق هذه القصة تعريض بأهل الكتاب بأن الأولى لهم أن يدلوا الناس على أخبار أنبياء إسرائيل وعلى سفر لأجل تحصيل العلم والحكمة لا سفر لأجل بسط الملك والسلطان كما تحكيها قصة ذي القرنين [251].

وكما قال ابن عاشور عنها [252]: (هي قصة تطلب ذي الفضل والكمال للازدياد منهما وسعيه للظفر بمن يبلغه الزيادة من الكمال , اعترافاً للفاضل ببفضيلته)

وقبل أن ينطلق النبي مع الرجل الصالح في رحلة العلم والتعلم نبه الرجل الصالح موسى عليه السلام بأنه سيضيق ذرعاً بما سيشاهد وهو يعلم بأنه سيصدر منه أفعال ظاهرها المنكر وباطنها المعروف.فقال "إنك لن تستطيع معي صبرا". يقول ابن عاشور في الآية [253]: (وهذا تحذير منه لموسى وتنبيه على ما يستقبله منه حتى يقدم على متابعته إن شاء على بصيرة أو على غير اغترار , وليس المقصود منه الإخبار. فمناط التأكيدات في جملة "إنك لن تستطيع معي صبرا" إنما هو تحقيق خطورة أعماله وغرابتها بحيث لا تتحمل , ولو كان خبراً على أصله لم يقبل فيه المراجعة ولم يجبه موسى بقوله "ستجدني إن شاء الله صابراً". وفي هذا أصل من أصول التعليم أن ينبه المعلم المتعلم بعوارض موضوعات العلوم الملقنة لاسيما إذا كانت في معالجتها مشقة..)

ولما صدر أول فعل للرجل الصالح أنكره موسى عليه السلام وكونه أول فعل كان استنكاره أخف من غيره لأنه لم يكن قد شهد فعلاً غيره فكان وقعه على نفسه عليه السلام أخف ولأنه صبره الرجل الصالح قبل أي شيئ لما قال ﴿ **قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** ﴿٦٧﴾ **وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا** ﴿٦٨﴾ ومعروف أنه كلما زادت الأفعال التي تنكرها النفس وتستعجبها العين المشاهدة يزيد الإستنكار ويشتد.

---

[251] - ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج15 , ص359.
[252] - ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج15 , ص359.
[253] - ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج15 , ص371.

فإذن الالتفات عن مخاطبة الرجل الصالح بالإنكار عليه تلطفاً معه وتأدباً مع المعلم , بنسبة الغرق إلى أهل السفينة [254]. يقول الدكتور محمد الزغول [255]: (قرأ حمزة والكسائي وخلف "ليغرق" بفتح الياء وفتح الراء على الغيب , و"أهلها" بالرفع على الفاعلية , وقرأ الباقون "لتغرق" بضم التاء وكسر الراء على الخطاب , و"أهلها" بالنصب على المفعولية , فتكون القراءة الأولى على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة إذ أن سياق الآية "قال أخرقتها" يقتضي الخطب "لتغرق" ولكن التفت إلى الغيبة ليسند موسى الغرق إلى أهل السفينة وليس للرجل الصالح تأدباًمعه ولو ظل الألسلوب القرآني على الخطاب لفاتت هذه الفائدة)

رددت هذه الصورة القرائية في([256]القسم المدني) للأغراض الآتية:

1. تصغير المخاطب وتحقير عمله: قال تعالى في سورة البقرة: **" ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّـهِ ۗ وَمَا اللَّـهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾"** قرأ ابن كثير (يعملون) بالياء [257]،

الكلام في ذكر قبائح بنو إسرائيل ووصفهم بالعناد والتعنت , وهذه الآية جاءت في معرض الحديث عن قصة البقرة ووصف أفعالهم فيها من كثرة السؤال ومدارأتهم للجريمة وعدم تعقلهم بالآيات التي يريها سبحانه إياهم بل زادهم هذا قسوة في قلوبهم. يقول ابن عاشور في الآية[258]: ("ثم" هنا للترتيب الرتبي الذي تهيأ له ثم إذا عطفت الجمل أي ومع ذلك كله لم تلن قلوبكم ولم تنفعكم الآيات فقست قلوبكم وكان من البعيد قسوتها وقوله "من بعد ذلك" زيادة تعجيب من طرق القساوة للقلب بعد تكرر جميع الآيات.)

فأظهرهم سبحانه في صورة من لا يليق بهم حضوره ومن ليسوا أهلاً لئن يخاطبوا أصلاً حتى بالتوبيخ بعد قساوة قلوبعم فهي لا تعتبر بالتوبيخ ولا بغيره. بل الوعيد أليق بحالهم كالمرض الذي لا يرجى شفاؤه.

---

[254] انظر السمين الحلبي , الدر المصون , ج7 , ص527.وابن عاشور , التحرير والتنوير , ج15., ص375.

[255] - محمد الزغول , الإلتفات في القراءات القرآنية , المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية , جامعة مؤتة , العدد الثاني 1427 هـ - 2006 م.

[256] انظر التفاسير: البحر المحيط , التحرير والنوير. وانظر الشايع ,محمد بن عبد الرحمن , المكي والمدني في القرآن الكريم , ص71 - 72.

[257] السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ج2، ص217. الاقناع في القراءات السبع، ابن الباذش، ج2، ص599. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج2، ص217.

[258258] ابن عاشور , التححرير والتنوير , ج1 ص562.

ويوضح هذا الغرض أبو حيان في تفسيره , يقول [259]: "وقرأ الجمهور تعملون بالتاء، وهو الجاري على نسق قوله (ثم قست قلوبكم). وقرأ ابن كثير بالياء ويحتمل أن يكون الخطاب مع رسول الله، ويحتمل أن يكون الخطاب مع بني إسرائيل ويكون ذلك التفاتاً إذ أُخرج من الخطاب في قوله تعالى "ثم قست قلوبكم" إلى الغيبة "يعملون" وحكمة هذا الالتفات أنه أعرض عن مخاطبتهم وأبرزهم في صورة من لا يقبل عليهم بالخطاب وجعلهم كالغائبين عنه، ولأن مخاطبة الشخص ومواجهته بالكلام إقبال من المخاطب عليه وتأنيس له فقطع عليهم مواجهته لهم بالخطاب لكثرة ما صدر عنهم من المخالفات)**.**

ولكن ابن عاشور لم يقبل الالتفات في القرآءات في هذه الآية حيث قال[260]: (قرأه الجمهور بالتاء الفوقية تكملة خطاب بني إسرائيل، وقرأه ابن كثير ويعقوب وخلف "يعملون" بالياء التحتية وهو انتقال من خطابهم إلى خطاب المسلمين فلذلك غير أسلوبه إلى الغيبة وليس ذلك من , ص565.الالتفات لاختلاف مرجع الضميرين لأن تفريع قوله "أفتطمعون أن يؤمنوا لكم" دل على أن الكلام نقل من خطاب بني إسرائيل إلى خطاب المسلمين).

وأقول –والله تعالى أعلم- أن قوله تعالى (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم) هو استئناف لإخبار المسلمين بفعل آخر من أفعال بني إسرائيل كما قال سبحانه في الآيات السابقة (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم..) وكقوله تعالى (وإذ قتلتم نفساً) ولكن هنا بدأها بالسؤال التقريري للمسلمين كونهم حرفوا كتاباً نزل عليهم من قبل أن ينزل على المسلمين هذا الكتاب وكلاهما من عند الله، فيكون قوله تعالى: **"وَمَا اللَّـهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ"** التفاتاً من خطابهم في قوله " **ثُمَّ قَسَتْ"** إلى كونهم غيب تسميعاً لهم وتحقيراً ووعيداً بعد ما وصفهم بأعنف الأوصاف وأقساها.

---

[259] أبو حيان ,, البحر المحيط , ج1, ص434.أبو السعود , إرشاج العقل السليم , ج1 , ص194.

[260] ـ ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج

التلطف مع المؤمنين حتى يمتثلوا إلى ما أمرهم الله به: وذلك في موضع سورة المنافقون قوله تعالى: **"وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّـهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّـهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾"** قرأ شعبة (يعملون) بياء الغيبة[261].

المقام مقام حث للمؤمنين على الإنفاق والإدخار للآخرة قبل حلول الأجل. "يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت" وهذا إبطال ونقض لكيد المنافقين حين قالوا "لا تنفقوا على من عند رسول الله " وهو يعم الإنفاق على المتقين حول رسول الله والإنفاق على غيرهم [262]. وذلك وهم مقتدرين وقبل أن يفوت الفوت "من قبل أن يأتي أحدكم الموت" , أي قبل تعذر الإنفاق والإتيان بالأعمال الصالحة , وذلك حين يحس المرء بحالة تؤذن بقرب الموت ويغلب على قواه فيسأل الله أن يؤخر نفسه ويشفيه ليأتي بكثير مما فرط فيه من الحسنات طمعاً أن يستجاب له فإن كان في أجله تأخير فلعل الله أن يستجيب له فإن لم يكن في الأجل تأخير أو لم بقدر الله له الإستجابة فإنه خير كثير[263]. فأخبر سبحانه بأنه "لن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها " وهذا إرشاد من الله للمؤمنين ليكونوا على استعداد للموت في كل وقت. ويستلزم ذلك الزعد زالوعيد على الفعل والترك فقال "والله خبير بما تعملون " , يقول ابن عاشور[264]: ("والله خبير بما تعملون" عطف على جملة "لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم". أو تذييل والواو اعتراضية ويفيد بناء الخبر على الجملة الإسمية تحقيق علم الله بما يعمله المؤمنين ولما كان المؤمنون لا يخامرهم شك في ذلك كان التحقيق والتقوي راجعاً إلى لازم الخبر وهو الوعد والوعيد والمفام هنا مقامهما لأن الإنفاق المأمور به منه الواجب و المندوب وفعلهما يستحق الوعد وترك أولهما يستحق الوعيد)

فالالتفات من الخطاب إلى الغيبة لعلمه سبحانه بإمتثال المؤمنين لأمره فلطف بهم , وكان محيئ الخبر هنا لتحقيق الوعد على الفعل وتحقيق الوعيد على الترك فهم يعلمون كذلك ويؤمنون بالوعد والوعيد فلا تلزم المواجهة. والله تعالى أعلم

---

[261] السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ص637. الاقناع في القراءات السبع، ابن الباذش، ج2، ص787. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ص582.

[262] ـ ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج28 , ص252.

[263] ـ ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج28 , ص253.

[264264] ـ ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج28 , ص256.

الفصل الثالث

أغراض الالتفات من الغيبة إلى التكلم والعكس

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أغراض الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

المبحث الثاني: أغراض الالتفات من التكلم إلى الغيبة.

المبحث الأول: أغراض الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

بتتبع مواضع هذه الصورة في القراءات نجد أن أغراضها لا تكاد تخرج عن معنى التعظيم إذ ورد التحول في معظم نماذجه بنون المتكلم المعظم نفسه ولذلك يسميها النحاة بنون العظمة غير أن مغزاها البلاغي يختلف باختلاف مقامه بحسب التبليغ والوعد بالثواب والوعيد بالعقاب.

وهنا ننتبه إلى أن أبا حيان وأبو السعود، كانا أكثر المفسرين اهتماماً بظاهرة الالتفات في توجيه القراءات، لا من جهة ما شاع عند كثير من الموجهين من الاقتصار على وصفها بذكر مصطلحها،

وإنما من حيث توظيفها وبيان أثرها في التراكيب ومحاولة استشراف مغزاها البلاغي من خلال استقراء واعٍ لسياقها ومقامها[265].

أغراض الالتفات في القرآءات من الغيبة إلى التكلم في (القسم المكي)[266]:

1. **التشديد بالترهيب والتهديد والتخويف:** قال تعالى: **"مَن يُضْلِلِ اللَّـهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ"** (سورة الأعراف:186) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر (نذرهم) بنون العظمة ورفع الراء[267]. هذه الآية الكريمة من الجمل الشرطية في مقام الوعيد ومجيء ضميره متكلماً أبلغ في تحقيق الوعيد وتشديده إذ أنه سبحانه قد حضر بالتهديد فقال: **" أَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ"**.

وسبحانه في أفعاله سواءً الوعد أو الوعيد يحضر ليحقق مصداق أفعاله في النفس وليكون أبلغ في التهديد وأبلغ في التكريم.

هذه الآية جاءت في موقع النتيجة الحاسمة على الشرك والتكذيب , وبمثابة الإخبار عن الطبع على قلوب المشركين[268] , يقول أبو السعود[269]: ("من يضلل الله فلا هادي له " استئناف مقرر لما قبله منبئ عن الطبع على قلوبهم). فهم المتصفون بالتكذيب وعدم التفكر بحال الرسول صلى الله عليه وسلم وعدم النظر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله , وفي توقع اقتراب أجلهم ,قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّـهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾** ﴾

فمن اتصف بهذه الصفات كان حقاً عليه أن يقدر سبحانه دوام ضلاله فلا يطمع أحداً لأن يهديه ولو في المستقبل , يقول ابن عاشور (وعطف جملة "ونذرهم في طفيانهم يعمهون" على جملة "من يضلل الله فلا هادي له" للإشارة إلى استمرار ضلالهم وانتفاء هديهم في المستقبل كما وقع في الماضي)

---

[265] محمد، أحمد سعد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، ص347.

[266] ـ انظر التفاسير: البحر المحيط , التحرير والنوير. وانظر الشايع ,محمد بن عبد الرحمن , المكي والمدني في القرآن الكريم , ص71 - 72.

[267] ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص297. الداني، التيسير في القراءات السبع، ص82. وابن الجزري، تحبير التيسير في القراءات العشر، ص381.

[268] ـ انظر الزمخشري , تفسير الكشاف , ج2, ص537. أبو حيان , البحر المحيط , ج4 , ص431.

[269] ـ أبو السعود , إرشاد العقل السليم , ج2 , ص444..الألوسي , روح المعاني , ج9 , ص

فإذن الالتفات بضميره سبحانه من الغيبة إلى التكلم تحقيقاً لطبعه على قلوبهم واليأس من إيمانهم والمقت بهم , فهم فريقً من الناس غير معروفين انفرد سبحانه بعلمهم ويطلع عليهم رسوله , وينكشف بعض ذلك عند موت بعضهم على الشرك [270].

يقول أبو السعود في قوله تعالى"**وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّـهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**" (سورة يونس:11): [271] (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا بنون العظمة الدالة على التشديد في الوعيد).

وفي القراءات وردت أمثلة أخرى:

قوله تعالى: "**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**" (سورة الزخرف:36)، قرأ القراء العشرة عدا يعقوب (نقيض) بنون العظمة[272].

بعد الإخبار عن نفسه سبحانه بالغيبة وأنه الرحمن في فعل الشرط فجأة تظهر صورة المنتقم الجبار بحضوره بنون العظمة وهذا أبلغ في ذلك.

ومثله قوله تعالى: "**لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا** " (سورة الجن: 17). قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر (نسلكه) بنون العظمة[273].

يخبر سبحانه عمن يعرض عن ذكره وأضاف اسمه إليهم فقال (ربه) تلطفاً بهم وتقرباً إليهم ألا يعرضوا، فإن صار وأعرضوا فهو متجهز لهم حاضر وهذا أبلغ في القراءة بنون العظمة.

2. **إظهار التبكيت عليهم والتشفي بهم والاستهزاء:** قال تعالى: "**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّـهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾**" (سورة الأنعام)، لأنه لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته، يجيء الكذاب يوم القيامة فيتصدى له سبحانه مستشفياً به مستهزأً عليه يقول (أين شركائي؟) فالتشفي والاستهزاء والتبكيت يظهران أبلغ بنون العظمة والجبروت.

---

[270] - ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج9 , ص193.

[271] أبو السعود العمادي، تفسير إرشاد العقل السليم، ج4، ص124.

[272] انظر ابن الجزري، تحبير التيسير في القراءات العشر، ص548. والنشار، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج2، ص281.

[273] الداني، التيسير في القراءات السبع، ص135. ابن الجزري، تحبير التيسير في القراءات العشر، ص594.

المقام مقام تهديد على الشرك والتكذيب ولإثبات الحشروإبطال الشرك[274] , كما هو شأن السور المكية.

يقول تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّـهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾** فالنتيجة على ظلمهم وأثر الظلم وعدم الفلاح ﴿ **وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾**

[275] فذكر سبحانه ظلمهم وما كان شغلهم في الدنيا بجعلهم غيباً وعند ذكره ماهو من شغله وعمله في الآخرة تكلم عن نفسه تعظيماً وتنزيهاً له عن ظلمهم وإظهاراً لكبريائه وأنه غني عنهم , وتحقيقاً لوعيده , وتخويفاً لهم وتوبيخاً على شركهم. وهذا ما يدل عليه قوله"ويوم نحشرهم " , وبالسؤال التوبيخي "أين شركائي" وقوله "كنتم تزعمون" وعطفه بثم دون الواو "ثم نقول". فالزعم ظن يميل إلى الكذب أو الخطأ أو لغرابته يتهم صاحبه [276]. والعطف بثم يقول ابن عاشور عنه [277]:(وعطف "نقول" بـ "ثم" لأن القول متأخر عن زمن حشرهم بمهلة لأن حصة انتظار المجرم وما سبحل به أشد عليه , ولأن في إهمال الإشتغال بهم تحقيراً لهم وتفيد "ثم" مع ذلك الترتيب الرتبي)

فالالتفات إلى التكلم زيادة في تحقيق الوعيد في: "ويوم نحشرهم" وزيادة في التوبيخ عليهم والتهكم بهم في "ويوم نقول ".وعلق على الالتفات في هذا الموضع الدكتور محمد سالم محيسن [278]: (قرأ القراء العشرة عدا "يعقوب" "نحشرهم , نقول" بنون العظمة فيهما. على الالتفات من الغيبة إلى التكلم , لأن السياق من قبل في قوله تعالى: "ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا" يقتضي الغيبة فيقال: "ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول " أي الله تعالى لكن التفت إلى التكلم , على أنه إخبار من الله تعالى عن نفسه بأنه سيعاقب المفترون الكذب على الله تعالى , والمكذبين بآياته , والمشركين به , بالعذاب لأليم يوم القيامة , ويفضحهم على ؤوس الخلائق ويقول توبيخاً لهم وإنكاراً عليهم"أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ").وتقول خديجة البناني [279]: (وعلى قراءة النون عدل سبحانه إلى هذا الضمير لإيضاح شدة الإعتناء بأمر الحشر ولتأكيد حدوثه يقول تعالى ذكره أن هؤلاء المفترون على الله كذباً والمكذبين بآياته لا يفلحون اليوم في الدنيا ولا يوم نحشرهم جميعاً والحشر كما هو

---

[274] - ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج7 , ص173.

[275] - الزمخشري , تفسير الكشاف , ج2 , ص332.وانظر أبو حيان , البحر المحيط , ج4 , ص98.والسمين الحلبي , الدر المصون , ج4 , ص571.. أبو السعود , إرشاد العقل السليم , ج2 , ص185.

[276] - ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج7 , ص175.

[277] ابن عاشور , اتحرير والتنوير , ج7 , ص174.

[278] - محمد سالم محيسن , ج2 ,ص116.

[279] - خديجة البناني , الإلتفات في القرآن إلى آخر سورة الكهف , ص356.

معلوم من أبرز الأمور التي جحدها الكفار واستبعدوا حدوثها وقد مر معنا أن تلك الأمور المنكرة من قبل الكفار يأتي معها هذا الضمير ليؤكد حدوثها ويقوي حجج الأنبياء بها ولهذا عدل بالأسلوب عن مساره السابق بالالتفات إلى ضمير التكلم).

وكذا قوله في سورة الفرقان: **"وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَـٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾"** قرأ ابن عامر (نحشرهم، نقول) بنون العظمة[280]، وقرأ نافع وأبو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر (نحشرهم) بالنون و(يقول) بالياء[281].

وكذا في قوله تعالى في سورة العنكبوت: **"يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾"**. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب (ونقول) بالنون[282] وهنا إظهار التشفي بهم والاستهزاء واضح إذ كانوا يستعجلون العذاب فلما جاءهم وغشاهم قال سب[حانه: **"وَنقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ"**.

ومنه أيضاً قوله تعالى لجهنم في سورة ق: **"يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾"** قرأ العشرة عدا نافع وشعبة (نقول) بنون العظمة[283]. يقول الدكتور محمد محيسن في هذه الآية الكريمة:[284] (قرأ القراء العشرة عدا نافع وشعبة (نقول) بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى التكلم؛ لأن السياق من قبل في قوله تعالى **"الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّـهِ إِلَـٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾"** يقتضي الغيبة فيقال (يقول) أي الله تعالى ولكن التفت إلى التكلم على أنه إخبار من الله تعالى عن نفسه بأنه يوم القيامة سينادي جهنم ويقول لها هلا امتلأتِ فتجيب بقولها هل من مزيد ولو ظل الأسلوب القرآني على الغيبة لما تحقق هذا المعنى البلاغي).

3. **إظهار الاختصاص بالخلق والعناية والاهتمام بالخلائق:** وذلك يظهر في قوله تعالى في سورة يونس الكريمة: **"هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّـهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾"**.

   قرأ نافع وابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف العاشر (نفصل) بنون

---

280 انظر ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص253. وانظر النشار، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج1، ص314.

281 الداني، التيسير في القراءات السبع، ص108. النشار، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج2، ص131.

282 الداني، التيسير في القراءات السبع، ص114. ابن الجزري، تحبير التيسير في القراءات العشر، ص502.

283 الداني، التيسير في القراءات السبع، ص129. ابن الجزري، تحبير التيسير في القراءات العشر، ص563.

284 محيسن، محمد سالم، القراءات وأثرها في علوم العربية، مكتبة الكليات الزاهرية، القاهرة، 1404 هـ - 1984م، ج2، ص121.

العظمة[285]. فسبحانه التفت إلى التكلم على انه إخبار من الله تعالى عن نفسه بأنه وحده هو الذي جعل الشمس ضياءً، والقمر نوراً، وقدره منازل لمعرفة عدد السنين والحساب، وأنه يوضح هذه الآيات الدالة على قدرته ووحدانيته لقوم يعلمون ذلك معرفة حقيقية، فيستدلون بهذه الآيات على وجود الله تعالى، وعلى أنه لا ينبغي أن يعبد غيره[286].

المقام مقام استدلال على انفراده سبحانه بالتصرف في المخلوقات . وهذا الدليل مسوق للامتنان على الخلق حيث تضمن أشياء يأخذ المخاطبون بحظ عظيم من التمتع بها وهو خلق الشمس والقمر على صورتهما وتقدير تنقلاتها تقديراً مضبوطاً ألهم الله البشر للانتفاع به في شؤون كثيرة من شؤون حياتهم [287]

وهذا الدليل يعقله العاالمون فعقب بقوله "نفصل الآيات لقوم يعلمون" فهم من يعلم أن هذا هو الحق وأن ما خلق سبحانه يهدي إلى الحق "ما خلق الله ذلك إلا بالحق " , فنون المتكلم المعظم نفسه في "نفصل"اهتماماً منه سبحانه بالعالمين أنه الحق , فانتفعوا بما علموا[288]. وتعريضاً بالذين لاينتفعون بتفصيل الآيات فهم ليسوا من الذين يعلمون ولاممن رسخ فيهم العلم[289] ,فلم يذكرهم , بل حضر عند ذكر العالمين فهم أهل لحضوره وأهل لإهتمامه. يقول الدكتور محيسن[290]: (قرأ نافع وابن عمر وشعبة وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف العاشر "نفصل" بنون العظمة. على الالتفات من الغيبة إلى التكلم , لأن سياق الآية في قوله تعالى "ما خلق الله ذلك إلا بالحق" يقتضي الغيبة فيقال "يفصل " أي الله تعالى ولكن التفت إلى التكلم على أنه إخبار من الله تعالى عن نفسه بأنه هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لمعرفة عدد السنين والحساب وأنه يوضح هذه الآيات الدالة على قدرته ووحدانيته لقوم يعلمون ذلك معرفة حقيقية فيستدلون بهذه الآيات على وجود الله تعالى وعلى أنه لا ينبغي أن يعبد غيره ..).

ومثله قوله تعالى في سورة يوسف الكريمة: **"فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّـهُ ۚ نَرْفَعُ**

---

[285] الداني، التيسير في القراءات السبع، ص85. وانظر ابن الجزري، تحبير التيسير، ص397. وانظر النشار، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج1، ص397.

[286] محيسن، القراءات وأثرها في علوم العربية، ج2، ص117.

[287] - ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج11 ص93.

[288] - انظر أبو حيان , تفسير البحر المحيط , ج5 , ص131.وأبو السعود , إرشاد العقل السليم , ج2 , ص630. والألوسي , روح المعاني , ج11 , ص71

[289] ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج11 , ص96 , 97.

[290] - محمد سالم محيسن , القراءات وأثرها في علوم العربية , , ج2 , ص117.

دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾". قرأ القراء العشرة (نرفع، نشاء) بنون العظمة عدا يعقوب[291].

هذه الآية بمثابة النتجة والجزاء الحقيقي كل على فعلته , فلما كادوا إخوة يوسف به كيداً عظيماً قوبلوا بكيد أعظم منه مقتضاه الحكمة والعلم. قال تعالى:كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله " أي يُلهم تصوير حالته ويأذن ليوسف عليه السلام في عَمله باعتبار ما فيه من المصالح الجمة ليوسف وإخوته في الحال والاستقبال لهم ولذريتهم[292]

والالتفات إلى التكلم " نرفع درجات من نشاء " إهنماماً بحال المتقين ولبيان قوة ترصده سبحانه للخق وزهقه للباطل وأنه مع المتقين , ويرفع درجاتهم وإن كان ظاهر فعلهم أنه كيد وذنب ولكن جوهره الحكمة والعلم فقال "وفوق كل ذي علم عليم "تأكيد على علمه بأن هذا فيه مصلحة للجميع , يقول ابن عاشور [293]: (قوله تعالى : "نرفع درجات من نشاء "تذييل لقصة أخذ يوسف أخاه لأن فيها رفع درجة يوسف عليه السلام في الحال بالتدبير الحكيم من وقت مناجاة أخاه إلى وقت استخراج السقاية من رحله , ورفع درجة أخيه في الحال بإلحاقه ليوسف عليه السلام في العيش الرفيه والكمال بتلقي الحكمة من فيه , ورفع درجات إخوته وأبيه في الإستقبال بسب رفع درجة يوسف عليه السلام

وهذا يقويه قراءة "درجات " بالتنوين على أنها تمييز, وتعلق فعل "نرفع " بمفعوله وهو "من نشاء "

ووجّه الالتفات في هذا الموضع الدكتور محيسن يقول [294]: (قرأ القراء العشرة عدا يعقوب "نرفع نشاء بنون العظمة فيهما. على الالتفات من الغيبة إلى التكلم , لأن سياق الآية في قوله تعالى "ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله " يقتضي الغيبة فيقال "يرفع درجات من يشاء" أي الله تعالى , ولكن التفات إلى التكلم , على أنه إخبار من الله تعالى عن نفسه بأن مقاليد جميع الأمور بيده فهو الذي يعز من يشاء وهو الذي بيده الخير وهو على كل شيء قدير...)

ولندّبر أيضاً قوله تعالى في سورة الرعد الكريمة: **"وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ**

---

[291] ابن الجزري، تحبير التيسير في القراءات العشر، ص416. والنشار، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج1، ص441. وانظر الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص333.

[292]- ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج13 , ص32.

[293] - ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج13 , ص32.

[294] - محمد سالم محيسن , القراءات وأثرها في علوم العربية , ج2 , ص117.

ۚ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾**". قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب (نفضل) بنون العظمة[295]. وإضافته سبحانه النعم لنفسه بنون العظمة يشعر بفخامة المنعم وفخامة النعمة مما يدل على عنايته سبحانه بالعالمين واستغناءه عنهم إن جحدوا وضلوا.

المقام مقام إستدلال على تفرده تعالى بالإلهية بدلائل خلق العالَمين ونظامهما الدال على انفراده بتمام العلم والقدرة وادماج الامتنان لما في ذلك من النعم على الناس[296].

فذكر سبحانه ما هو مسلم فيه من أن السماوات والأرض خلقهن الله بياء الغيبة ولم يسند ذلك إلى ضميره , فقال "الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش....وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي....." وعند ذكره ما هو ممكن أن يشتبه على الناس في حلقه لما أن لهم في إخراجه من الأرض سبب من فلحه وسقيه بضمير المعظم نفسه حتى يعلم بإختصاصه بذلك , بمظهر تفضيل أكله بعضه على بعض وإن كانت متفاضلة في غيره لأنه غالب وجوه الإنتفاع من الثمرات [297], فهو من له الحق بالتصرف بالخلق , واهتماماً بالذين يعقلون وللإمتنان عليهم بما خلق ,وتعريضاً بالذين لايعقلون ". يقول أبو السعود[298]: (لم يتعرض لغير تفضيل بعضها على بعض في الأكل الظاهر لكل عاقل مع تحقق ذلك في الخواص والكيفيات مما يتوقع العثور عليه على نوع تأمل وتفكر كأنه لا حاجة في ذلك إلى التفكر أيضاً وفيه تعريض بأن المشركين غير عاقلين...)

يعلق ابن عاشور على الالتفات في هذا الموضع يقول : (بلاغة القرآن في تغيير الأسلوب عند الانتقال إلى ذكر النعم الدالة على قدرة الله تعالى فيما ألهم الناس من العمل في الأرض بفلحها وزرعها وغرسها والقيام عليها، فجاء ذلك معطوفاً على الأشياء التي أسند جَعْلها إلى الله تعالى، ولكنه لم يسند إلى الله حتى بلغ إلى قوله: " ونفضل بعضها على بعض في الأكل "، لأن ذلك بأسرار أودعها الله تعالى فيها هي موجب تفاضلها. وأمثال هذه العِبر، ولَفْتتِ النظر مما انفرد به القرآن من بين سائر الكتب).

---

[295] انظر ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص355. وابن الباذش، الإقناع في القراءات السبع، ج2، ص675. وابن الجزري، تحبير التيسير في القراءات العشر، ص420.

[296] ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج13 , ص76 , 77.

[297] - أبو حيان , البحر المحيط , ج5 , ص357.

[298] - أبو السعود , إرشاد العقل السلم , ج3 , ص200.الألوسي , روح المعاني , ج13 , ص103.

وهذا ما ذهبت إليه خديجة البناني في مؤلفها تقول: (الالتفات في قوله تعالى:"ونفضل بعضها على بعض في الأكل " بصيغة التكلم في قوله عز وجل "نفضل" وذلك بعد ذكره سبحانه بصيغة الغيبة في قوله تعالى: "وهو الذي مد الأرض وجعل". وكان مقتضى السياق أن يأتي اللفظ بصيغة الغيبة أيضاً مثل - ويفضل – والعدول إلى التكلم تنبيهاً منه سبحانه على قدرته وحكمته وأنه المدبر للأشياء كلها جاء الالتفات ليدل على عظم هذه الآيات وقوة حجتها على وجوده سبحانه وتعالى وأحقيته جل ثناؤه بالإفراد في العبادة وهذا بين واضح لأنها مع اتفاقها فيى التربة والماء تفضل القدرة والإرادة بعض أكلها على بعض كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم – حين سئل عن هذه الآية فقال "الدقل والفارسي والحلو والحامض "

000 ففي ذلك آيات لمن كان داعياً وهو من أعظم الدلالات على الفاعل المختار الذي بقدرته فاوت بين الأشياء وخلقهاا على ما يريد ولهذا قال تعالى: "إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون"...)

هذه هي بلاغة القرآن في إيصال ما يراد بأبلغ صورة وأبلغ بيان , فالحرف منه مكان الحرف بمثابة آية كاملة بياناً ومعنى.

وفي سورة النحل: **"يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾.** قرأ شعبة (ننبت) بنون العظمة[299]. ننبت لكم به الزرع أبلغ بالعناية والاهتمام من ينبت لكم إذ قال سبحانه في الآية التي قبلها "أنزل من السماء ماءً لكم) وفي هذه الآية (ننبت لكم) والآية التي تليها (وسخر لكم) فالتفاته سبحانه بضميره سبحانه من كونه غيب إلى الحضور والتكلم لكمال العناية والاهتمام فهو لطيف بعباده رؤوف بهم قريب منهم.

الآية 11 من النحل:

هذه الآية كسابقتها جاءت استدلالاً على تفرده تعالى بالإلهية مدموج بالإمتنان , وإنما جاءت هذه الآية في سورة النعم سورة النحل التي فيها إكثار من التذكير بمنافع النعم وإكثار من الوعظ بالشكر عليها , وطبيعة السورة وجوها من ذكر الفائض من نعمه ولطف الله بالناس وما خلق لهم تستدعي التدرج بالوعظ والتذكير وليس كسورة الرعد فإن طبيعتها جاءت أشد بالوعظ من هذه السورة كونها جاءت ردود على أقوال الممتركين المعاندين.

وهنا حالة انبات الزرع لا تحصل بإنزال الماء فحسب وإنما بصنع الإنسان من زرع وغرس فلم يعطف هذه النعمة على نعمة إنزال الماء في قوله "هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب

---

[299] انظر ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص369. والداني، التيسير في القراءات السبع.

ومنه شجر فيه تسيمون " [300], ونسبة هذا الإنبات لله تعالى بنون العظمة فيه تحنن وتلطف بالعباد , فالزرع والثمر متجدد مستمر الإنبات أفاده مجيء فعل "ننبت " استئناف بصيغة الإستقبال وأفاده تقديم الظرفين "لكم به" على المفعول "الزرع" دلالة على الإهتمام وإدخال المسرة [301], كما فيه مزيد تنبيه للناس على دفع غرورهم بقدرة أنفسهم لذلك قال "إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون " لكثرة ما تحت ذلك من الدقائق[302]. يقول أبو السعود [303]: (إن في ذلك أي في إنزال الماء وإنبات ما فصل لآية عظيمة دالة على تفرده تعالى بالألوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة لقوم يتفكرون فإن من تفكر في أن الحبة أو النواة تقع في الأرض وتصل إليها نداوة تنفذ فيها فينشق أسفلها فيخرج منه عروق تنبسط في أعماق الأرض وينشق أعلاها وإن كانت منتكسة في الوقوع ويخرج منه ساق فينمو ويخرج منه الأوراق والأزهار والحبوب والثمار المشتملة على أجسام مختلفة الأشكال والألوان والخواص والطبائع وعلى نواة قابلة لتوليد الأمثال على النمط المحرر لا إلى نهاية مع اتحاد المواد واستواء نسبة الطبائع السفلية والتأثيرات العلوية بالنسبة إلى الكل علم أن من هذه أفعاله وآثاره لا يمكن أن يشبهه شيء في شيء من صفات الكمال فضلا عن أن يشاركه أخص الأشياء في أخص صفاته التي هي الألوهية واستحقاق العبادة تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحيث افتقر سلوك هذه الطريقة إلى ترتيب المقدمات الفكرية قطع الآية الكريمة بالتفكر)

فجاءت قراءة (النون) الضمير المعظم نفسه لتساهم مع القرائن على إيصال المراد والمغزى. والله تعالى أعلم

يقول محمد الصادق قمحاوي في توجيه الالتفات في الآية الكريمة [304]: ("ينبت لكم به الزرع " قرئ بالياء جرياً على الأسلوب السابق وهوالغيبة في قوله تعالى: "هو الذي أنزل من السماء ماءلكم منه شراب" وقرئ: بالنون على أن الفعل مسند لضمير المتكلم المعظم نفسه. ووجه الالتفات عن الغيبة إلى التكلم للتنبيه على تعظم تلك النعم نظراً لأنها لا تصدر إلا عن من له العظمة والقدرة العامة)

---

[300] - ابن عاشو , التحرير والتنوير , ج14 , ص114.

[301301] - أبو السعود , إرشاد الغقل السليم , ج3, ص343.

[302] ابن عشور , التحرير والتنوير , ج14 , ص115.

[303] أبوالسعود , إرشاد العقل السليم , ج3 , ص344. واألوسي , روح المعاني , ج14 , ص108. ابن عاشو , التحرير والتنوير , ج14 , ص15.

[304] محمد الصادق قمحاوي , طلائع البشر في توجيه القراءات العشر , ص102.

ويقول أبو حيان في هذا الغرض أن الالتفات من الغيبة إلى التكلم في مقام الإبلاغ يكون بغرض تفخيم الفاعل وما يستتبعه ذلك من تعظيم الفعل ومفعوله[305].

توكيد الوعد:

قال تعالى في سورة النحل: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّـهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿96﴾ قرأ ابن كثير وعاصم وأبو جعفر وابن عامر بخلف عنه "ولنجزين" بنون العظمة.

المقام مقام وعظ وإرشاد وتذكير بالجزاء وتحقيق له ,

نهى الله تعالى عن نقض عهد الإسلام لأجل ما فاتهم بدخولهم فيه من منافع عند قوم الشرك [306], "ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها " , وقوله "ولا تتخذوا أيمنكم دخلاً بينكم" , "ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً" , يقول الزمخشري [307]: (كرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلاً بينهم تأكيدً عليهم وإظهاراً لعظم ما يركب منه) ,

ولما كان نقض عهد الإسلام عظيم وعد سبحانه لمن أوفى بما عاهد عليه الله بما عنده من الخير الكثير المدخر (إنما عند الله هو خير لكم إن كنم تعلمون), فالعندية هنا عندية ادخار[308], وهذا مناسب للوعد بالجزاء الباقي. يقول أبو السعود[309]: (وهو تعليل للنهي على طريقة التحقيق)

وكما أكد سبحانه التحذير من نقض الميثاق

في الدين جاء الالتفات ليؤكد المعنى من تحقيق الوعد بالجزاء على الوفاء والصبر وخاصة في الدين وأخذ الميثاق عليه , واهتماماً بالمخاطبين وحملهم على الصبر . يقول أبو السعود عن الالتفت في الآية[310]: ("ولنجزين" بنون العظمة على طريقة الالتفات تكرير الوعد المستفاد من قوله تعالى "إن ما عند الله هو خير لكم" على نهج التوكيد القسمي مبالغة في الحمل على الثبات في الدين والالتفات عما يقتضيه ظاهر الحال من أن يقال ولنجزينكم أجركم بأحسن ما كنتم تعملون للتوصل إلى التعرض لأعمالهم وإشعارهم بعليتها للجزاء)

---

[305] محمد، أحمد سعد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، ص348.

[306] - ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج14 , ص270.

[307] - الزمخشري , تفسير الكشاف , ج3 , ص471. وانظر أبو حيان , البحر المحيط , ج5 , ص515.. ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج14 , ص268.

[308] ابن عاشور , التحرير والتنوير , ج14 , ص271.

[309] - أبو السعود , إرشاد العقل السليم , ج3 , ص297. وانظر الألوسي , روح المعاني , ج14 , ص225.

[310] - أبو السعود , إرشاد العقل السليم , ج3 , ص297 الألوسي , روح المعاني , ج14 , ص225. خديجة البناني , ص403

ويرى قمحاوي أن الالتفات لتعظيم الجزاء يقول [311]: "قرئ بالنون على الالتفات من الغيبة إلى التكلم وإسناد الفعل إلى ضمير العظمة لتعظيم الجزاء. وقرئ بالياء على إسناد الفعل إلى ضمير يعود على لله في قوله "وما عند الله باق " أي والله لنجزين الذين صبروا على أذية المشركين ومشاق الإسلام التي من جملتها الوفاء بالعهود والفقر).

أي أنه سبحانه جاء بضميره المعظم نفسه مع القسم تقرباً منهم وتصبيراً لهم وتكريماً لفعلهم وتثبيتاً لوعدهم بالأجر العظيم.

فالالتفات إلى التكلم في مقام الوعد يفرض الاهتمام بالمتلقين وزيادة الاعتناء بهم بتشريفهم بالتكلم وما يستتبعه ذلك من الدلالة على وفرة الحب وجزالة الجزاء، فكل ما يصدر عن العظيم عظيم.

وجاء هذا الغرض أيضاً في سياق الوعد بتوفية كل إنسان عمله فإن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً ولكنه أقل تأثير من السياق السابق في مفام الصابرين.

قال تعالى في سورة الأحقاف الكريمة: ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴿**19**﴾ قرأ نافع وابن عامر بخلف عن هشام , وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف العاشر (ولنوفيهم) بنون العظمة.

كذلك في هذه الآية يعد سبحانه عبيده من الفريقين فريق الحق وفريق الباطل بأنه سيوفيهم ما عملوا إما خيراً فخيراً وإما شراً فشراً، وذلك بنون العظمة التي تناغمت مع القسم في تحقيق الوعد وتوكيده ثم قال: (وهم لا يظلمون) فكانت قراءة النون أبلغ في ذلك.

التشديد في التوبيخ:

قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿ ﴾

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ? وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿**67**﴾ **أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا** ﴿**68**﴾ **أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا** ﴿**69**﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو الأفعال الخمسة بنون العظمة (نخسف، نرسل، نيعدكم، نرسل، نغرقكم)[312]. فلما كان سبحانه قادر على أن يفعل بهم ما يشاء جزاءً على ما صدر

---

[311] - محمد الصادق قمحاوي , طلائع البشر في توجيه القراءات العشر , ص105.

[312] ابن الجزري ،تحبير التيسير في القراءات العشر ، ص433

منهم من الكفر والجحود وعدم الشكر وبخهم بذلك توبيخاً شديداً، فحضر سبحانه بنون العظمة وحضرت معه قدرته على أن يصيبهم بمصاب أعظم من مصابهم الذي أنقذهم منه.

يقول ابن عاشور: (الخسف: انقلاب ظاهر الأرض في باطنها من الزلزال وفي هذا التنبيه على أن السلامة في البر نعمة عظيمة تنسونها فلو حدث لكم خسفاً لهلكتم هلاكاً لا نجاة لكم منه بخلاف هول البحر)[313] الذي قد تجود لكم منه نقيذا.

ومثله قوله تعالى في سورة الروم: ﴿ **اللَّـهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴿40﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿41﴾** قرأ روح وقبنل بخلف عنه (لنذيقهم) بنون العظمة. هذه الآية الكريمة "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ " خبر مستعمل في التنديم والتوبيخ على ما حل بالمكذبين المخاطبين من ضر ليعلموا أن ذلك عقاب من الله فيقلعوا عنه خشية أن يحيط بهم ما هو أشد منه.

يقول ابن عاشور في تفسير الآية: (يجوز أن تقع هذه الآية موقع التكملة لقوله "وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم" فهي خبر مستعمل في التنديم على ما حل بالمكذبين المخاطبين من ضر ليعلموا أن هذا عقاب من الله تعالى فيقلعوا عنه خشية أن يحيط بهم ما هو أشد منه)[314].

ففي قراءة نون العظمة حضوره سبحانه تفخيماً لشأنه فيوبخهم لئلا يعودوا إلى تكذيبهم ويرجعوا إلى إيمانهم ؛ فيكون وقع التوبيخ على النفس أكبر.

هذه هي أغراض الالتفات التي جاءت عليها القراءات في القسم المكي، تنوعت ما بين إظهار شدة التوعيد والتهديد، وشدة التوبيخ والتقريع، وأما غرض هذه الصورة الخاص فهو إظهار القرب من العبيد والأخذ بأيديهم إلى طريق النجاة بتذكيرهم بما خلق لهم ورزق وأنعم عليهم وأجزل بالنعم.

وهذا كله بصورة حضوره سبحانه التي تحيي في النفس إحساس العظمة والفخامة،

أما أغراض الالتفات في القرآءات من الغيبة إلى التكلم في (القسم المدني)[315]:

كون التكلم أبلغ في الثواب على العمل:

---

[313] ابن عاشور ،التحرير والتنوير ،ج20،ص185

[314] الصدر نفسه،ج21 ،ص 109

[315] - انظر التفاسير: البحر المحيط , التحرير والنوير. وانظر الشايع ,محمد بن عبد الرحمن , المكي والمدني في القرآن الكريم , ص71 - 72.

ورد ذلك في سورة النساء بثلاثة مواضع منها، وعلى الأغلب أن القراء قد اتفقوا على قراءتها بالتكلم:

آية **" لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّـهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿114﴾.**

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّـهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَـٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّـهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿152﴾

وقوله: **﴿ لَّـٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَـٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴿162﴾**

أما الأولى قرأها نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم والكسائي وأبو جعفر ويعقوب بضمير التكلم. وأما الثانية قرأها كذلك بالتكلم كل القراء عدا حفص. والثالثة كذلك بالتكلم عند جميع القراء عدا حمزة وخلف العاشر[316].

يقول أبو حيان في هذه السياقات: في قوله تعالى "فسوف نؤتيه أجراً عظيماً" قرأ أبو عمرو وحمزة (يؤتيه) بالياء، والباقون بالنون على سبيل الالتفات ليناسب ما بعده من قوله (نوله، نصله)[317] فيكون إسناد الثواب والعقاب إلى الضمير المتكلم العظيم، وهو أبلغ من إسناده إلى ضمير الغائب.

فقوله سبحانه (ومن يفعل ذلك) وعد بالثواب على فعل المذكورات من الأمر بالمعروف أو صدقة أو إصلاح بين الناس إذا كان ذلك ابتغاء مرضاته سبحانه وكان الوعد أبلغ وأكد بنون العظمة.

ويقول السمين الحلبي في الآية الثانية: (قرأها حمزة "سيؤتيهم" مراعاة للظاهر في قوله "والمؤمنون بالله"، والباقون بالنون على الالتفات تعظيماً ولمناسبة قوله "وأعتدنا")[318].

تحقيق النفي:

قال تعالى في سورة البقرة: **"آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّـهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿285﴾ ,** قرأ العشرة (لا نفرق) عدا يعقوب[319].

---

[316] ابن الجزري ،تحبير التيسير في القراءات العشر ، ص443

[317] ابو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ج3، ص366

[318] السمين الحلبي ، الدر المصون ،ج4 ، ص56

[319] ابن الجزري ، تحبير التيسير في القراءات العشر ، ص317

يخبر سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أن الرسول صلى الله عليه وسلم آمن بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون كذلك آمنوا، ثم يقول كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، فحقق وأكد لما آمن به الرسول والمؤمنون مما أُنزل إليهم من ربهم ثم أخبر عنهم أنهم لا يفرقون بين أحد من رسله. فهذا مقام تحقيق لما آمنوا به وأُنزل إليهم فناسب القراءة بالنون المشاركة تحقيقاً للايمان ونفي ما سوى الإيمان.

يقول ابن عاشور في الآية: (قوله "لا نفرق بين أحد من رسله" قرأه الجمهور بنون المتكلم المشارك. وهو يحتمل الالتفات: بأن يكون من مقول قول محذوف دل عليه السياق وعطف (وقالوا) عليه)[320].

وفي معنى "لا نفرق بين أحد من رسله" يحيل ابن عاشور القارئ إلى الموضع الأول من سورة البقرة وهو: **"قُولُوا آمَنَّا بِاللَّـهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿136﴾**

. يقول فيه ابن عاشور: (وجملة قوله تعالى "لا نفرق بين أحد منهم" حال أو استئناف كأنه قيل كيف تؤمنون بجميعهم فإن الإيمان بحق بواحد منهم، وهذا السؤال المقدر ناشئ عن ضلالة وتعجب حيث يعتقدون أن الإيمان برسول لا يتم إلا مع الكفر بغيره، وأن تزكية أحد لا تتم إلا بالطعن في غيره، وهذه زلة في الأديان والمذاهب والنحل والأحزاب والأخلاق كانت شائعة في الأمم والتلامذة فاقتلعها الإسلام)[321] لأن الإسلام قد اقتلعها جاءت قراءة النون آكد - كونه أبلغ في الاغتباط والتبشر.

قال تعالى في سورة آل عمران: **﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿48﴾**

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف العاشر (نعلمه) بنون العظمة[322].

في هذه الآية الكريمة تأتي نون العظمة في مقام الإبلاغ تبشيراً لمريم عليها السلام، وتطييباً لقلبها وإزاحة لما أهمها من خوف اللائمة لما علمت أنها تلد من غير زوج.

---

[320] ابن عاشور ،التحرير والتنوير ،ج3، ص133
[321] ابن عاشور، التحرير والتنوير ،ج1 ، ص739
[322] ا بن الجزري ، تحبير التيسير في القراءات العشر ،ص322

ينقل الدكتور أحمد سعد محمد عن أبو حيان تفسيره لنون العظمة في الآية فيقول: (يذكر أبو حيان أن الالتفات من الغيبة إلى التكلم في مقام الإبلاغ يكون بغرض تفخيم الفاعل وما يستتبعه ذلك من تفخيم الفعل ومفعوله).

ثم ينقل قول أبو حيان وتعليقه على الآية. يقول أبو حيان في قوله (ويعلمه الكتاب): (أنه على كلتا القراءتين معطوف على الجملة المقولة وذلك أن (قال كذلك) الضمير في (قال) عائد على الرب، والجملة بعده هي المقولة.. فيكون هذا من المقول لمريم على سبيل الاغتباط والتبشير بهذا الولد الذي يوجده الله منها، ويجوز أن يكون معطوفاً على (يخلق).. وهذا ظاهر كله على قراءة الياء، وأما على قراءة النون فيكون من باب الالتفات، خرج من ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم لما في ذلك من الفخامة.. ويكون الله تعالى قد أخبر مريم بأنه يخلق الأشياء الغريبة التي لم تجر بها عادة مثل ما خلق لك ولداً من غير أب، وأن الله تعالى يُعلِّم هذا الولد الذي يخلقه لك ما يعلمه قبله من الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل، فيكون في هذا الاخبار أعظم تبشير لها بهذا الولد، وإظهار بركته، وأنه ليس مشابهاً أولاء الناس من بني إسرائيل، بل هو مخالف لهم في أصل النشأة وفيما يعلمه من العلم)[323].

فقيمة الالتفات إلى التكلم في الآية الكريمة أنه يضيف إلى تفرد الخلقة - التي ميز الله بها عيسى عليه السلام عن سائر البشر - نوعاً آخر من الخصوصية إذ يصنعه الله سبحانه على عينه ويتفرد بتعليمه؛ لإظهار بركته تبشيراً لأمه مريم وجبراً لقولها "أنى يكون لي ولد.." وإزاحة لما أهمها من خوف اللوم عندما أخبرت أنها ستلد من غير زواج.

أبلغ في الوعيد:

قال تعالى في سورة التغابن: ﴿ **فَآمِنُوا بِاللَّـهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّـهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿8﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَ?لِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّـهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَ?لِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿9﴾**

قرأ يعقوب (نجمعكم) بنون العظمة[324].

الكلام فيه تهديد للمشركين ببدء حسابهم بوم الجمع، إذ المعنى: ذلك غبنكم الكثير الشديد بقرينة قوله قبله: "فَآمِنُوا بِاللَّـهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّـهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ " والغابن لهم هو الله تعالى.

---

[323] أحمد سعد محمد ، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية،ص335

[324] ابو عمرو الداني ، التيسير في القراءات السبع ، ص

ولولا قصد ذلك لما اقتصر على أن ذلك يوم تغابن فإن فيه ربحاً عظيماً للمؤمنين بالله ورسوله والقرآن، فقد زان هذا القصد وزان قوله "فما ربحت تجارتهم" وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما المفلس الذي يفلس يوم القيامة".

يقول الزمخشري: (قرئ: نجمعكم ونكفر وندخله، بالياء والنون. فإن قلت: بم انتصب الظرف؟ قلت: بقوله "لتبلؤنَّ" أو "بخبير" لما فيه من معنى الوعيد، كأنه قيل: والله معاقبكم يوم يجمعكم: أو بإضمار "اذكر". "ليوم الجمع" ليوم يجمع بعضهم بعضا، لنزول السعداء منازل الأشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء، ونزول الأشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء، وفيه تهكم بالأشقياء وفي حديث رسول الله "ما من عبد يدخل الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً. وما من عبد يدخل النار إلا أُري مقعده من الجنة لو أحسن، ليزداد حسرة")[325].

ومجيء الوعيد بقالب بياني وهو الالتفات من تهديدهم بأنه (خبير بما تعملون) إلى حضوره سبحانه (يوم نجمعكم) أوقع للتهديد في النفس وأبلغ في تحقيق ما أنكروه من يوم البعث الذي هو يوم التغابن الذي فيه التهكم بالمكذبين المشركين لما نزلوه من منزلة ليست بغبن أصلاً، والغبن يومئذ للمؤمنين وما نزلوه من منزلة عظيمة باستحقاقهم الجنة.

رأينا صورة الالتفات في القرآءات من الغيبة إلى التكلم في القسم المدني وهي بالأعم الأغلب لم تخرج في أغراضها عن حدود التبليغ والترغيب وهذا يؤيد ما قلناه سابقاً من أن صورة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في الأعم الأغلب استعملها للترهيب والتخويف بينما جاء بعكسه الالتفات من الغيبة إلى التكلم -والله تعالى أعلم-. وهو إيماء من المربي الحكيم إلى نظام تربوي عظيم يحكمه القضايا الحاسمة التي في حياة البشرية وما يحتاجونه لضبط سيرهم فيها على الطريق السليم الذي به يسلمون.

المبحث الثاني:

أغراض الالتفات من التكلم إلى الغيبة:

أولاً: الالتفات من التكلم إلى الغيبة في (المكي)[326]:

---

[325] الزمخشري ،الكشاف ، ج4 ،ص548 -549

[326] - انظر التفاسير: البحر المحيط , التحرير والنوير. وانظر الشايع ,محمد بن عبد الرحمن , المكي والمدني في القرآن الكريم , ص71 -72.

قال تعالى في سورة الكهف: **"وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿52﴾** قرأ القراء العشرة عدا حمزة (يقول) بالياء[327].

وفي هذه الآية الاستغناء عن المخاطبين بعد محاجتهم بالشواهد: ففي الآية التي قبلها قوله تعالى: **مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿51﴾** يقول ابن عاشور: (تنزل هذه الجملة منزلة التعليل للجملتين اللتين قبلها وهما (أفتتخذونه وذريته) إلى قوله (بدلا) فإنه لما لم يشهدوا خلق السماوات والأرض لم يكونوا شركاء لله في الخلق بطريق الأولى فلم يكونوا أحقاء بأن يعبدوا. وهذا احتجاج على المشركين بما يعترفون به فهم يعترفون بأن الله هو المنفرد بخلق السماوات والأرض وخلق الموجودات)[328].

وبسبب تكذيبهم لتلك المحاجة التي يعرفونها حق المعرفة يستغني عنهم سبحانه بأن يعرض عنهم بضميره كما سيدعون شركاءه فلا يستجيبوا فكان سبحانه أولى بأن يعرض ولا يستجب لهم.

وفي هذا المعنى يبين أبو السعود تفسير الآية: ("يوم يقول" أي الله عز وجل للكافرين توبيخاً وتعجيزاً وقرئ بنون العظمة "نادوا شركائي الذين زعمتم" أنهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ما عبد من دونه وقيل إبليس وذريته "فدعوهم" أي نادوهم للإغاثة وفيه بيان لكمال اعتنائهم بإغاثتهم على طريقة الشفاعة، إذ معلوم أن لا طريق للمدافعة (فلم يستجيبوا لهم) فلم يغيثوهم إذ لا إمكان لذلك وفي إيراده مع ظهوره تهكم بهم وإيذان بأنهم في الحماقة بحيث لا يفهمونه إلا بالتصريح به)[329] وعكسه في عدم التصريح إذ فيه تول عنهم وحسم مصيرهم, وإظهار كبريائه في ذلك المشهد العظيم.

ثانياً: الالتفات من التكلم إلى الغيبة في (القسم المدني)[330]:

قوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّـهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾** , قرأ حفص ورويس "فيوفيهم " بياء الغيبة [331].

السياق في مدح الذين آمنوا بعيسى عليه السلام وذم للذين كفروا , ووعده سبحانه لعيسى

---

[327] ابن الجزري ، تحبير التيسير في القراءات العشر، ص445

[328] ابن الجزري ، تحبير التيسير في القراءات العشر ،ص583

[329] ابو السعود ،ارشاد العقل السليم ،ج5،ص292

[330] انظر التفاسير: البحر المحيط , التحرير والنوير. وانظر الشايع ,محمد بن عبد الرحمن , المكي والمدني في القرآن الكريم , ص71 - 72.

[331] - انظر أبو عمرو الداني , التيسير في القراءات السبع , ص67. ابن الجزري , تحبير التيسير في القراءات العشر , ص 323

بأنه سيطهره من الذين كفروا , وأنه سيحكم بين الذين اختلفوا على عيسى عليه السلام: **﴿إِذْ قَالَ اللَّـهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾** وموضع الإلتفات في قوله تعالى "فيوفيهم" بصيغة الغيبة بعد صيغة التكلم التي جاءت في الآية الأولى في قوله عز من قائل "فأعذبهم" ولو سار الأسلوب على نظام واحد لجاءت الآية – فيوفيهم أجورهم ,ولا أحب الظالمين – ولكن شتان بين هذا وذاك [332]. يقول أبو السعود[333]: (للإيذان بما بين مصدري التعذيب والإثابة من اختلاف من حيث الجلال والجمال...) , فالتكلم أولاً ناسب موضوع الآية التي قبلها في قوله تعالى: "ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون" فأبان سبحانه أن هذا العقاب الشديد كان نتيجة حكمه العادل فيهم ولذا ناسب اتحاد الضميرين بين الفعلين أحكم , فأعذب , وإسنادهما له سبحانه مباشرة يعطي عمقاً أبعد للمعنى في تصوير هذا العذاب الشديد في الدنيا والأخرة [334], قال أبو حيان[335]: (بدأ أولاً بقسم الكفار لأن ما قبله من ذكر حكمه تعالى بينهم فهو على سبيل التهديد والوعيد للكفار والإخبار بجزائهم فناسبت البداءة بهم ولأنهم أقرب في الذكر بقوله "فوق الذين كفروا " ويكون الكلام مع اليهود الذين كفروا بعيسى وراموا قتله ثم أتى ثانياً بذكر المؤمنين وعلق هناك العذاب على مجرد الكفر وهنا علق توفية الأجر على الإيمان وعمل الصالحات تنبيهاً على درجة الكمال في الإيمان ودعاء إليها..وقال سبحنه – فيوفيهم – بالياء....وذلك على سبيل الإلتفات والخروج من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة للتنوع في الفصاحة) , والتنبيه على ما بين المقامين من اختلاف [336]

هذا هوالإلتفات ليس له فاعدة مطردة بل جاء على جميع المقامات الخطابية من مدح وذم واستدلال وغيرها , يبين ذلك عن إعجاز هذا القرآن العظيم ونففاذ بلاغته على جمييع المقامات مما لايصلح مجيء كلام آخر على

---

[332] - خديجة البناني , الإلتفات إلى آخر سورة الكهف , ص218.

[333] - أبو السعود , إرشاد العقل السليم , ج1 , ص494.

[334] - خديجة البناني , الإلتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف , ص218.

[335] - أبو حيان , البحر المحيط , ج , ص ,. الألفوسي , روح المعاني , ج3 , ص185.

[336] - خديجة البناني , الإلتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف , ص218.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وحبيب الحق محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين , وبعدُ: فلقد يسر الله لنا بحث الموضوع بتتبع ما بثه علماء البلاغة - عن الإلتفات - من أقوال وأراء , وبحث الظاهرة عند علماء التوجيه وطرائقهم في تحليلها , كما وتكلمنا عن أغراض صور الإلتفات في القراءات ووقفنا على تحليل كل موضع بسياقه ومقامه الذي ورد فيه وبعد هذا التفصيل يأتي الإجمال بذكر الخلاصة والنتائج:

- ❖ الإلتفات فن من فنون الكتاب بديع وعلم من علوم البلاغة رفيع , وردت الإشارة إليه غي كتابات السابقين الأوائل , ويعد الزمخشري أول من أصل لهذا الفن وقسم أغراضه إلى خاصة وعامة. وصور هذا الفن ستة محصورة بأحد أنواع العدول وهو عدول الضمائر.
- ❖ الإهتمام بفن الإلتفات عند علماء توجيه القراءات جاء مواكباً لنشأته وتطوره , غير أن الموجهين قد حاولوا الاحتجاج للظاهرة القرائية وتوجيهها على طريقتهم هم لا على طريقة البلاغين , أما طريقتهم فلا تتجاوز حدود السطحية في التوصيف لظاهرة: إما بأسماء مختلفة أو ذكر ما اشتهر من الآيات على هذا الفن كآية الفاتحة ويونس وذلك من باب التنظيرله , وإما بالقول بالبالتغليب أوحذف القول من باب التأويل والتقدير ورد النسق إلى النسق.
- ❖ أول من تجاوز حدود السطحية في توصيف الظاهرة إلى توظيفها بلاغياً والارتقاء بالفن إلى المستوى الذي يليق به بالوقوف على مغزاه واستكناه أسراره ومراميه , العالم الكبير في العربية ابن جني (ت392هـ).
- ❖ عنصر التنبيه في الإلتفات عنصر أصيل وهذا يفسر كثرة مواضع الإلتفات في القرآءات في فواصل الآيات فتارة بالتاء المضارعة الفوقية وتارة بالتاء التحتية مما يظهر أثر القراءات في البيان القرآني.

- يترتب الإلتفات في القراءات القرآنية المتواترة على التغاير بين أحرف المضارعة وهي (النون , والياء والتاء) مما يسهم في تكثيف المعاني واستحضار الصور وتجددها.وهي على ذلك من القراءات الفرشية .
- السياق هو الداعم الأساس لتوجيه الإلتفات فهو أسلوب دقيق يستدعي إستجلاؤه فهم القرائن والأحوال المحيطة بالآيات
- القسم المكي حاز على الحظ الأكبر من مواضع الإلتفات في القرآءات, وهذا يرجع إلى طبيعة المرحلة ومتطلباتها من الدعوة إلى الله بركنيه الترغيب والترهيب.
- المفسرون على تفاوت بينهم في شرح الغرض من الإلتفات في القراءات فمثلا ابن عاشور حلل السياق تحليلاً دقيقاً وعند ذكر الغرض من الإلتفات استجلى ذلبك من السياق , بينما مثلاً الألوسي كان يفرد الغرض عند ذكر وجود قراءة في الآية دون تحليل للسياق ورد الغرض إليه.
- الإلتفات من الغيبة إلى الخطاب تعتبر الصورة الأقوى في الإلتفات وتحتل عنصر الفجاءة فيه , لذا استعمله القرآن ابتداءاً في التخويف والتهديد والتغريع
- بينما الإلتفات من الغيبة إلى التكلم يأتي تلطفاً وجلباً لإنتباه المستمع باهتمام المتكلم بالمخاطب.
- أما عن الوجوه المعاكسة فالإلتفات من الخطاب إلى الغيبة غرضه الظاهر هو الحط من شأن المخاطب وإظهاره في صورة من لا يستحق الإهتمام , والإلتفات من التكلم إلى الغيبة يبعد عز وجل نفسه عن مقامات التقبيح على الكفرة والمجرمين ويضمن للمؤمنين حقوقهم وتوفية جزائهم وكون ذلك مسلم به عنده سبحانه
- ثمة هناك خطوط واضحة تفصل المرحلتين المكية والمدنية عن بعضهما في موضوع الالتفات في القرآءات, المكية منها أكثر من المدنية , والمكية جاءت مواضع الالتفات تحاك تلك الفترة والقضايا الدينية التي كان لابد من البت بها والقطع على منكريها واتخاذ مواقف حاسمة في شأنهم ومصيرهم وبالمقابل وعد من امتثل وأطاع وتاب وبقي منيبا إلى الله بالتحقيق والتكريم بشرف مخاطبته أو حضوره سبحانه.

❖ أن دراسة أسلوب الالتفات في القراءات أبان عن وجه من وجوه الإعجاز البياني في لقرآن وذلك أن الالتفات في القراءات ليس محكوماً بقاعدة مطردة أو مقام خاص وإنما جاء بجميع مقامات القرآن يثبت الحقائق ويسهم في إعطاء المقام مقاله اللائق به

ثبت بمواضع الالتفات في القراءات القرآنية

الآية القرآنية	السورة ورقم الآية	القراءة التي حصل فيها التفات	نوع الالتفات
"ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ"	البقرة: 74	قرأها ابن كثير"يعملون"	التفات من الخطاب إلى الغيبة
"وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ"	البقرة: 96	قرأ يعقوب "تعملون"	التفات من الغيبة إلى الخطاب
"قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ"	البقرة: 144	قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر "تعملون" بالخطاب	التفات من الغيبة إلى المخاطب
"آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا	البقرة: 285	قرأ العشرة "لا نفرق" عدا يعقوب	التفات من الغيبة إلى المتكلم

وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ"			
"وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ"	آل عمران: 48	قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف العاشر "ونعلمه الكتاب" بنون العظمة	التفات من الغيبة إلى المتكلم
"وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ"	آل عمران: 57	قرأ حفص ورويس "فيوفيهم" بياء الغيبة	التفات من المتكلم إلى الغيبة
"أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ"	آل عمران: 83	قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف العاشر "تبغون" بتاء الخطاب	التفات من الغيبة إلى الخطاب
"وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ"	آل عمران: 115	قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بخلف عن الدوري وابن عامر وشعبة وأبو جعفر ويعقوب "وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ" بتاء الخطاب	التفات من الغيبة إلى الخطاب
"وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"	آل عمران: 180	قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف العاشر "تعملون" بتاء الخطاب	التفات من الغيبة إلى الخطاب
"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا"	النساء: 77	قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب عن روح "ولا تظلمون" بتاء الخطاب	التفات من الغيبة إلى الخطاب
"لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ	النساء: 114	قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم والكسائي	التفات من الغيبة إلى المتكلم

إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّـهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا"		وأبو جعفر ويعقوب "نؤتيه" بنون العظمة	
"وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّـهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَـٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّـهُ غَفُورًا رَّحِيمًا"	النساء: 152	قرأ القراء العشرة عدا حفص "نؤتيهم" بنون العظمة	التفات من الغيبة إلى المتكلم
"لَّـٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۚ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَـٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا"	النساء: 162	قرأ القراء العشرة عدا حمزة وخلف العاشر "سنؤتيهم" بنون العظمة	التفات من الغيبة إلى المتكلم
"وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ"	الأنعام: 22	قرأ القراء العشرة عدا يعقوب (نحشرهم، نقول)بنون المتكلم	التفات من الغيبة إلى المتكلم
"قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ"	الأنعام: 63	قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب "أنجيتنا" بياء تحتية ساكنة بعد الجيم وبعدها تاء فوقية مفتوحة على الخطاب	التفات من الغيبة إلى المتكلم
"وَمَا قَدَرُوا اللَّـهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّـهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّـهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ"	الأنعام: 91	قرأ القراء العشرة عدا ابن كثير وأبا عمرو بتاء الخطاب	التفات من الغيبة إلى الخطاب
"أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ"	الأعراف:173	قرأ القراء العشرة عدا أبا عمرو "أن تقولوا" بتاء الخطاب	التفات من الغيبة إلى الخطاب
"مَن يُضْلِلِ اللَّـهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ"	الأعراف: 186	قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر "نذرهم" بنون العظمة ورفع الراء	التفات من الغيبة إلى المتكلم

"هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"	يونس: 5	قرأ نافع وابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف العاشر "نفصل الآيات" بنون العظمة	التفات من الغيبة إلى المتكلم
"وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا ۚ قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ"	يونس: 21	قرأ القراء العشرة عدا روح "ما تمكرون" بتاء الخطاب	التفات من الغيبة إلى الخطاب
"فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ"	يوسف: 76	قرأ القراء العشرة "نرفع، نشاء" بنون العظمة عدا يعقوب	التفات من الغيبة إلى المتكلم
"وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"	الرعد: 4	قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب "نفضل" بنون العظمة	التفات من الغيبة إلى المتكلم
"يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"	النحل: 11	قرأ شعبة "ننبت" بنون العظمة	التفات من الغيبة إلى المتكلم
"وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ"	النحل: 20	قرأ عاصم ويعقوب "يدعون" بياء الغيبة	التفات من الخطاب إلى الغيبة
"أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"	النحل: 79	قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي وأبو جعفر وخلف العاشر "يروا" بياء الغيبة	التفات من الخطاب إلى الغيبة
"مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"	النحل: 96	قرأ ابن كثير وعاصم وأبو جعفر وابن عامر بخلف عنه "ولنجزين" بالنون	التفات من الغيبة إلى المتكلم

"وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا "	الإسراء: 2	قرأ العشرة عدا أبا عمرو "ألا تتخذوا" بتاء الخطاب	التفات من الغيبة إلى الخطاب	
				التفات من الغيبة إلى المتكلم
وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّـهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا "	الإسراء: 33	قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر "فلا تسرف" بتاء الخطاب	التفات من الغيبة إلى الخطاب	
**أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا " " أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى? فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ? ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا "	الإسراء: 68، 69	قرأ ابن كثير وأبو عمرو بنون العظمة في الأفعال الخمسة (نخسف، نرسل، نعيدكم، نرسل، نغرقكم)	التفات من الغيبة إلى المتكلم	
"مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا"	الكهف: 51	قرأ أبو جعفر "وما كنت متخذ" بالخطاب	التفات من المتكلم إلى الخطاب	
"وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا"	الكهف: 52	قرأ القراء العشرة عدا حمزة "يقول" بالياء	التفات من المتكلم إلى الغيبة	

"فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا "	الكهف: 71	قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر "ليغرق" بياء الغيبة بفتح الياء والراء مضارع غرق الثلاثي "وأهلها" بالضم فهو فاعل الفعل	التفات من الخطاب إلى الغيبة
"قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ"	الأنبياء: 112	قرأ ابن ذكوان بخلف عنه "يصفون" بياء الغيبة	التفات من الخطاب إلى الغيبة
"يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ"	الحج: 73	قرأ يعقوب "يدعون" بياء الغيبة	التفات من الخطاب إلى الغيبة
"وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَـ?ؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ "	الفرقان: 17	قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر "نحشرهم" بالنون	التفات من الغيبة إلى المتكلم
"أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّـهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ "	النمل: 25	————————	التفات من الغيبة إلى الخطاب
**وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّـهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ" "إِنَّ اللَّـهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "	القصص: 60	قرأ أبو عمرو بخلف عن السوسي "أفلا يعقلون" بياء الغيبة	التفات من الخطاب إلى الغيبة
"يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ"	العنكبوت: 55	قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب "ونقول" بالنون	التفات من الغيبة إلى المتكلم
"كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ"	العنكبوت: 57	قرأ القراء العشرة عدا شعبة "ترجعون" بتاء الخطاب	التفات من الغيبة إلى الخطاب

"ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ"	الروم: 41	قرأ مروح وقنيل بخلف عنه "لنذيقهم" بنون العظمة	التفات من الغيبة إلى المتكلم
"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّـهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا "	الأحزاب: 9	قرأ القراء العشرة عدا أبو عمرو "تعملون" بتاء الخطاب	التفات من الغيبة إلى الخطاب
"هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ"	ص: 53	قرأ القراء العشرة عدا ابن كثير وأبو عمرو "توعدون" بتاء الخطاب	التفات من الغيبة إلى الخطاب
"وَاللَّـهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّـهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ "	غافر:20	قرأ نافع وهشام وابن ذكوان بخلف عنه بتاء الخطاب	التفات من الغيبة إلى الخطاب
"أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّـهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّـهِ مِن وَاقٍ "	غافر: 21	قرأ ابن عامر "منهم" بكاف الخطاب	التفات من الغيبة إلى الخطاب
"وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ"	الشورى: 25	قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف العاشر ورويس بخلف عنه "تفعلون" بتاء الخطاب	التفات من الغيبة إلى الخطاب
"وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ "	الزخرف: 85	قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وأبو جعفر وروح "ترجعون" بتاء الخطاب	التفات من الغيبة إلى الخطاب
"فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمون"	الزخرف: 89	قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر "تعلمون" بتاء الخطاب	التفات من الغيبة إلى الخطاب

"تِلْكَ آيَاتُ اللَّـهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّـهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ"	الجاثية: 6	قرأ ابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي ورويس وخلف العاشر "تؤمنون" بتاء الخطاب	التفات من الغيبة إلى الخطابة	التفات من الغيبة إلى الخطابة
"وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ "	الأحقاف: 19	قرأ نافع وابن عامر بخلف عن هشام وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف العاشر "ولنوفيهم" بالنون	التفات من الغيبة إلى المتكلم	
"يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ "	ق: 30	قرأ القراء العشرة عدا نافع وروح "نقول" بنون العظمة	التفات من الغيبة إلى المتكلم	
"سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ"	القمر: 26	قرأ ابن عامر وحمزة "ستعلمون" بتاء الخطاب	التفات من الغيبة إلى الخطاب	
"أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّـهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ"	الحديد: 16	قرأ رويس "ولا تكونوا" بتاء الخطاب	التفات من الغيبة إلى الخطاب	
"وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّـهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ? وَاللَّـهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ "	المنافقون: 11	قرأ شعبة "يعملون"	التفات من الخطاب إلى الغيبة	
"يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّـهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "	التغابن: 9	قرأ يعقوب "نجمعكم" بالنون	التفات من الغيبة إلى المتكلم	
" لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا "	الجن: 17	قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر "نسلكه" بالنون	التفات من الغيبة إلى المتكلم	

"وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّـهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ "	المدثر: 56	قرأ نافع "وما تذكرون" بتاء الخطاب	التفات من الغيبة إلى الخطاب
"كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ " "وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ"	القيامة: 20	قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف العاشر "تحبون، تذرون" بتاء الخطاب	التفات من الغيبة إلى الخطاب
"وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّـهُ إِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا "	الإنسان: 30	قرأ نافع وابن عامر بخلف عنه وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف العاشر "وما تشاؤون" بتاء الخطاب	التفات من الغيبة إلى الخطاب
"بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا"	الأعلى: 16	قرأ العشرة "بل تؤثرون" بتاء الخطاب عدا أبا عمرو	التفات من الغيبة إلى الخطاب

المصادر والمراجع:

- ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن عبد الكريم، أ. **المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي وأولاده، مصر.
- **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والنثور**، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (1357 – 1956م).
- الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد، **معاني القراءات**، الطبعة الأولى، تحقيق: عيد مصطفى درويش وعوض بن حمد القوزي، (1412 – 1991م).

- الأصبهاني، أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران (ت381 هـ)، **المبسوط في القراءات العشر**، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- الأصفهاني، الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، مكتبة نزار مصطفى الباز.
- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين سيد محمود، (ت 1279هـ)، **روح المعاني**، تحقيق: السيد محمود شكري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الأندلسي، أبو حيان، محمد بن يوسف(ت745 **هـ)**، **تفسير البحر المحيط**، الطبعة الأولى، تحقيق: عادل محمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413-1993م.
- ابن الباذش، أبو حفص أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري، **الإقناع في القراءات السبع**، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار الفكر، دمشق، ، 1403هـ.
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر القاسم (ت 403 هـ)، **إعجاز القرآن**، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، مصر.
- الباقولي أبو الحسن علي بن الحسين الأصبهاني، (ت543 هـ)، **كشف المشكلات وإيضاح المعضلات**، تحقيق: أحمد محمد الدالي، مكتبة الصباح، دمشق، (1415-1994م).
- بناني، خديجة محمد أحمد، **الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف**، بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف علي محمد حسن العماري، 1413 -1414هـ.
- التبريزي، الخطيب، (ت502)، **الكافي في العروض والقوافي**، الطبعة الثالثة، تحقيق: حسن عبد الله، مكتبة الخانجي، مصر، (1415 – 1994م)،.
- ابن الجزري، أبو الخير محمد الدمشقي، (ت 833)، **النشر في القراءات العشر**، تحقيق: علي محمد الصباغ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- ابن الجزري، شمس الدين محمد بن علي بن يوسف، **تسبير التيسير في القراءات العشر**، الطبعة الأولى، تحقيق: الدكتور أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان، عمان، 1421-2000م،

- ابن جعفر، قدامة أبو الفرج، **نقد الشعر**، الطبعة الأولى، مكتبة الجوائب – قسطنطينية، (ت302 هـ).

- ابن جني، أبو الفتح عثمان، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، الطبعة الثانية، تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الفتح اسماعيل شلبي.

- حسين، عبد القادر، **أثر النحاة في البحث البلاغي**، دار النهضة، مصر، 1975م.

- الحلبي، السمين، أحمد يوسف (ت 756هـ)، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**.

- ابن خالوية، الحسين بن أحمد أبو عبد الله، **الحجة في القراءات السبع**، الطبعة الرابعة تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، 1401هـ.

- الخراط، أحمد بن محمد، **الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1426هـ.

- الداني، أبو عمرو، عثمان بن سعيد بن عمرو، **التيسير في القراءات السبع**، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي ، بيروت، 1404- 1984م.

- الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ويسمى **منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ.

- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر الحسين، **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، الطبعة الأولى، تحقيق: نصر الدين حاجي، دار الإحياء، بيروت (1424 – 2004م)،

- الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر، **مختار الصحاح**، إخراج دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م.

- ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني(ت 456هـ) الطبعة الخامسة، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل، 1401- 1981م،.
- الزرقاني، محمد بن عبد العظيم، (ت 1337)،**مناهل العرفان**، الطبعة الثالثة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهاء، (ت794 هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية.
- الزغول، محمد، **الالتفات في القراءات القرآنية**، المجلة الأردنية في الدراسات الاسلامية، العدد الثاني، (1427 -2006م).
- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت538)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، مذيّل بحاشية الإمام أحمد بن المنير، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.
- ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة، **حجة القراءات**، الطبعة الثانية، حققه: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1402 – 1982م)
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد علي، **مفتاح العلوم**، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت (1420هـ – 2000م).
- السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضري (ت911)، **الإتقان في علوم القرآن**، الطبعة الأولى، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت (1429 – 2008م).
- **قطف الأزهار في كشف الأسرار**، الطبعة الأولى، تحقيق: أحمد بن محمد الحمادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية، الدوحة (1994 - 1414)..
- الشامي، فادي عون إبراهيم: **بلاغة الالتفات عند أبي السعود في تفسيره إرشاد العقل السليم**، رسالة مقدمة لاستكمال الحصول على درجة الماجستير في التفسير، الجامعة الأردنية، المشرف أحمد اسماعيل نوفل، كانون الثاني – 2008م.

- شكري، أحمد خالد، والقضاة، أحمد مفلح، ومنصور، محمد خالد، **مقدمات في علم القراءات**، الطبعة الأولى، دار عمار، عمان (1422 – 2001م)،.

- شيخ زاده، محمد بن مصلح الدين مصطفى، **حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي**، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت (1419 – 1999م).

- طبل، حسن، **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1318-1998م.

- الطوفي، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري (ت726)، **الإكسير في علم التفسير**، الطبعة الثانية، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة،.

- ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، 844هـ.

- أبو عبيدة، معمر بن مثنى (210هـ)، **مجاز القرآن**، تحقيق: الدكتور محمد فؤاد زكي، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- عتر، نور الدين، **علوم القرآن الكريم**، الطبعة الأولى، مطبعة الصباح، دمشق (1414 – 1993م).

- العسكري، أبو هلال ، الحسن عبد الله بن سهل، **الصناعتين الكتابة والشعر**، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت (1406 – 1986م).

- العلوي، يحيى بن حمزة بن إبراهيم، **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، مطبعة المقتطف، مصر (1222 – 1914م).

- العلوي، مظفر الفضل(ت 656 هـ)، **نضرة الإغريض في نصرة القريض**، تحقيق: نهى عارف الحسن، الجامعة اللبنانية، بيروت، 1976م.

- العمادي، أبو السعود، محمد بن محمد، (ت982هـ)، **إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن العظيم**، دار إحياء الكتاب العربي، بيروت.

- ابن فارس، أبو الحسين أحمد زكريا، **معجم مقاييس اللغة،** تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

- الفارسي، أبو علي الحسن عبد الغفار (ت 377 هـ)، **الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذي ذكرهم أبو بكر بن مجاهد،** الطبعة الأولى تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق (1407 – 1987م)..

- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، **معاني القرآن،** تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي نجار وعبد الفتاح اسماعيل شبلي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.

- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**.

- القارئ، عبد العزيز، **حديث الأحرف السبعة دارسة لإسناده ومتنه واختلاف العلماء في معناه وصلته بالقراءات القرآنية،** الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت (1423 - 2002م).

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم(276ت)، **تأويل مشكل القرآن،** الطبعة الثانية تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت (1428 – 2007م).

- القرطاجني، حازم، أبو الحسن، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء،** تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي.

- القزويني، الخطيب، جلال الدين أبو عبد الله محمد، **الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع،** دار الكتب العلمية، بيروت.

- قمحاوي، محمد الصادق، **طلائع البشر في توجيه القراءات العشر،** الطبعة الأولى، دار العقيدة، الإسكندرية (1417 – 2006م).

- القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت 437)، **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها،** تحقيق: الدكتور محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1974م.

- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت215) **الكامل في اللغة والأدب**، دار الفكر العربي، مصر، (1417 – 1997م)، الطبعة الثالثة.
- ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التيمي البغدادي، **السبعة في القراءات**، الطبعة الثانية، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1400هـ.
- محمد، أحمد سعد: **التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية**، الطبعة الأولى، مكتبة الآداب، القاهرة (1376– 1957م).
- أبو موسى، محمد محمد ، **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري**، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة، القاهرة (1408 – 1988م).
- محيسن، سالم محمد، **المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة**، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت (1408 – 1988م)،
- محيسن، محمد سالم، **القراءات وأثرها في علوم العربية**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة (1414 – 1984م).
- ابن أبي مريم، نمر بن علي بن محمد أبو عبد الله الشيرازي (ت 565 هـ)، **الموضح في وجوه القراءات وعللها**، الطبعة الأولى، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن، جدة (1414 – 1993م).
- مطلوب، أحمد، **معجم المصطلحات البلاغية**، مطبعة المجمع العلمي العراقي (1407 – 1987م).
- ابن المعتز، عبد الله، **كتاب البديع**، الطبعة الثالثة، أغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة، بيروت، (1402 – 1982م).
- ابن منظور، أبو الفضل جلال الدين بن محمد بن مكرم، **لسان العرب**، الطبعة الأولى، دار الإحياء، بيروت.

- ابن المنقذ، أسامة أبو المظفر بن مرشد الشيرازي (ت 584 هـ)، **البديع في نقد الشعر،** تحقبق: أحمد بدوي وحامد عبد الحميد، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر،1960م.
- أبو موسى، محمد محمد، **خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني**، مكتبة وهبة، الطبعة الرابعة، القاهرة (1416 – 1996م).
- النشار، أبو جعفر سراج الدين عمر بن زين الدين قاسم بن محمد بن علي الأنصاري (ت 938 هـ)، **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة**، الطبعة الأولى.تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وأحمد عيسى حسن المعصراوي، دار عالم الكتب، بيروت (1421-2000 م).

AL-ILTIFAT IN QUR'ANIC READINGS AND ITS IMPACT ON THE MEANING. ANALITICAL STUDY

By

Ghazaleh.M. Abu Hameed

Supervisor

Dr. Ahamd.I. Nofal

ABSTRACT

This study investigates one of the aspects of the Qur'anic inimitable style related to Qur'anic modes of readings. This is done by studying the scholars and exegesis analysis of this issue of *al-Iltifat*, which has impact on the meaning of Qur'anic verses.

The study also presents and reviews some of eloquent scholar's views about *al-Iltifat*, and it shows the preferred view about it. The present study investigates the manners of scholars of Qur'anic modes of readings and recitation and rhetorical notes about *al-Iltifat,* this is linked with both *Makki* and *Madani* periods of revelation.

In the second chapter includes an index of examples of *al-Iltifat* in the Qur'an divided into *Makki* and *Madani.*